

REGD. NO. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI
NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW. (INDIA)

صدر حديثاً :

رسائل الأعلام

مجموع رسائل لكتاب العلام ، وقادة الفكر والزعماء ،
والمؤلفين والأدباء ، و الكتاب المسلمين الأصدقاء .
و بعض الملوك والأمراء والوزراء في العالم العربي .
سبعون رسالة لحسين كاتباً مرموقاً

كتبت ووجهت إلى ساحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوى
أمين ندوة العلماء العام ، رئيس المجتمع الإسلامي العالمي في لكهتو (الهند)
في فترة بين

١٤٠٤ - ١٣٦٧

إخراج وتقديم
فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوى
جامعة كلية اللغة العربية وآدابها ، جامعة ندوة العلماء
لكهتو ، الهند

طلب الكتاب : من مكتبة دار العلوم ندوة العلماء ص . ب ٩٢
لكهتو (الهند)

قام بالطبع والنشر جيل أحمد الندوى في مطبعة ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

البعث الإسلامي



Phone : 72336
73864

تصديقاً : ندوة العلماء، لكھتو، الہند

أخي القارئ :

- السلام عليكم و رحمة الله و بركاته
- حرضاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :
- ١- كتابة العنوان بالإنجليزية و العربية كالتالي في ورقة خاصة ، كل حرف على حدة ، و إرساله إلينا .
 - ٢- إرسال اشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الإسلامي » مقابل عام واحد أو أكثر :
 - ٣- أرفق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدفأه .

الاشتراكات السنوية

- في الهند : ٤٠ روبيه ، من النسخة : أربع روبيات .
- في العالم العربي ١٢ دولاراً بالبريد السطحي ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .
- في أوروبا وأفريقيا وأمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحي ، ٤٠ دولاراً بالبريد الجوى .
- في باكستان وبنغلاديش ودول شرق آسيا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحي ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

AL BAASEL ISLAMI
NADWATUL ULAMA
P. O. Box No. 93 - LUCKNOW (INDIA)

العدد القادم

وسيكون العدد الأول للجلد الثلاثين سيصدر - باذن الله - في غرة رمضان ١٤٠٥ هـ (يونيو ١٩٨٥ م) فرجو القراء أن لا يتربصوا بالمجلة في شهر شعبان ١٤٠٥ هـ (مايو ١٩٨٥ م) « التحرير »

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعية

سيعيد الأعظمي للتدوين
 واضح شيخ الرذوين

رئيس التحرير

العدد العاشر - المجلد التاسع والعشرون ★ رجب ١٤٠٥ - مارس وابريل ١٩٨٥

عنصر الحب

إذا استعرضنا المجتمع الإسلامي في القرن الأول وجدناه شرقاً بنور من الحب والأخوة و السلام ، والتاريخ الإسلامي حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر ظليرها في تاريخ الأمم الأخرى ، وإذا فكرنا اليوم في أحوال المسلمين وأمعنا النظر في الأوساط الدينية والطبقات الإسلامية واستعرضنا هذه المشكلات ، التي تعرّض الركب الإسلامي في كل مكان رأينا أن السبب لذلك كلّه هو عدم القيادة بالحب والاستهانة بأهميته في الدين الإسلامي وضرورته للجتمع الإنساني .

فلتتخذ شبابنا المسلم شعاره الأول « الحب والاخلاص » و مهمته الأولى إذاعة الحب بين الناس حتى تتبدد تلك الظلمات الكثيفة التي أحاطت بال المسلمين هذه الأيام ، فهو حجر زاوية في بناء الإسلام ، نادى به القرآن العظيم وندب إليه الرسول الكريم وعمل به المسلمين في القرون الأولى .

[محمد الحسن - رحمة الله]



الافتاجية :

مشكلتنا الواقعية وأبعادها الحقيقة ١

قائمة المشكلات والقضايا التي نجنازها نحن كسلين طويلة ، يعي وضعها أكثر الباحثين فيها والمعنيين بها ، فمع كل صبح مشكلة طريفة وقضية جديدة تطالنا بأحجامها وألوانها المتعددة على جميع المستويات الفردية والجماعية وعلى الصعيد القوى والشعبي ، بالأمس كانت مع القوى الاستعمارية والصليبية في عقر دورنا وداخل مجتمعاتنا وبيوتنا ، نعيش كما ترید لنا من العيش ، وتنفس كما تسمح لنا بذلك ، لأنها كانت سيدة مطاعة فينا وكنا نحن عبدها وخوتها ، وظللنا في هذه الحالة التuse حاجة العصر ، ومسؤولية الأمة ما وراء النظريات في البحث عن نشأة اللغة دكتور : توفيق محمد شاهين

فروناً وأجيالاً صابرين محتسسين ، حتى قدر الله لنا التحرر من هذه العبودية التي فرضت علينا ، وذهب الاستعمار من دولنا وبلادنا ، وترك لنا ميزة الأمر والنهي ، وفرض إلينا سيادة القانون ، وخلع علينا جائزة الاستقلال .

ولكنه خلف لنا من المشكلات والقضايا المعقّدة ما عكر علينا صفو الاستقلال والحرية ، وألزم علينا من التقييدات والالتزامات ما حرمنا من جميع النعم والملذات ، وترك في أوطاننا أصابع المؤامرات وشبكة الخلافات والعداوات ، ترك علينا ما يعتبر صفة من تاريخ تركستان الغربية الدكتور عبد الله الطرازي

أشكل المشكلات وأعقد القضايا ، وهي قضية فلسطين في مقدمة القضايا كلها ، وكم شغلت أذهاننا و أفكارنا ، وذهب ضحيتها أرواحنا وأموالنا ، ومؤهلاتنا و كفاراتنا ، من غير أن تقدم فيها أو تؤخر ، بل كلها تكاثرت أهتماماتنا وتضاعفت بجهوداتنا نحو حل المشكلة وفصم المقدة تزامت مشكلة فلسطين تعقداً واتسعت الفجوة بينها وبين توافر أي حل لها ، نظراً إلى التحركات اليهودية العالمية و الصهيونية الحاكمة التي تبنت القضية وربطت بها مستقبل اليهودية العالمية ، وساندتها في كسب المعركة الفلسطينية

(٢)

★ الافتاجية ★

مشكلتنا الواقعية وأبعادها الحقيقة ١ سعيد الأعظمى

★ التوجّه الإسلامي ★

- ٣ من معان الأسراء والمراج
١٠ مساحة الشّيخ السّيد أبي الحسن على الندوى
١٦ الدكتور فهمي قطب الدين نجاشي
٢٢ بقلم : الدكتور عبد اللطيف عبادة
٣١ الدكتور غريب جمعة

★ الدعوة الإسلامية ★

- ٣٩ مساحة الشّيخ السّيد أبي الحسن على الندوى
٥٢ دكتور : توفيق محمد شاهين

★ دراسات و إيجاث ★

- ٦٦ كتاب الجامع بعد الرزاق الصناعي المحدث الكبير الشّيخ حبيب الرحمن الأعظمى

★ دراسة خاصة بالآداب المختضر ★

- حسان بن ثابت الأنصاري وشعره الجاهلي سعيد الأعظمى الندوى

★ العالم الإسلامي ★

- ٧٦

★ صور وأوضاع ★

- ٩٠

★ واضع رشيد الندوى ★

- ٩٤

★ المغربون والعمل الإسلامي ★

- ٩٦

★ المؤتمر السنوي الثاني للطلاب ★

- ١٠٠

رجل أوربا المريض

المغاربون والعمل الإسلامي

المؤتمر السنوي الثاني للطلاب

(٢)

و الاهتمام ، ولكنها تتعقد يوماً يوم ، وتتشعّب أرجاؤها في كل ناحية ، وتسجّد قضية كل يوم ، أو تصبح من الانشواء والغموض والشدة بحيث لا رحاء في التخلص منها بأى طريقة وحيلة ، بل إنها تزداد خطورة وتحدياً كل حين .

و أمامنا الآن عدة قضايا ، كل واحدة منها تبلغ من الأهمية والشدة أبلغ مبلغ وأرفع قمة .

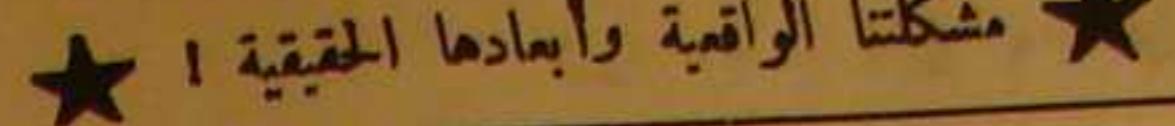
وتأتي في رأس القائمة فلسطين المحتلة التي انضمت إليها قضية لبنان ، وأصبحت قضية من درجة و معقدة في غاية من التعقد والخطورة ، وكم تشغّل الآن فكر المسلمين و فرّصهم الفالية ، و تهدر من دعائمهم وأموالهم و طاقاتهم ، و آمالهم ، يظن أن المسوّنة قد توقفت عن نشاطها فهو في خطأ ، إذ أنها لا تزال نشيطة تعمل في الخفاء ومن وراء الستار عن طريق أعضائها وبروتوكولاتها ، وهي في الحقيقة من أخطر النشاطات التي تتولى خلق اليأس والرهل في المسلمين وإيجاد جو من الغفلة والشّاؤم نحو دين الإسلام و تأكيد أنه فقد قوته وغناه في العصر الحديث .

والاحتلال في المقدسات الإسلامية والقدس ومسجدها الأقصى ، جميع دول الغرب و المعسكرات الغربية والشرقية بأسراها .

ولقد كان للاسونية فضيحة الأسد في تعقيده هذه القضية وتحويلها إلى سلطان يطلق جسم المجتمع الإسلامي كله ، وقد اتخذت فلسطين قاعدة اطلاق نحو العالم الإسلامي بأكله والسيطرة عليه من أقصاه إلى أقصاه ، تحقيقاً لحلم إقامة دولة يهودية عالمية في هذا الجزء الحساس للعالم ، وتجويد المسلمين أو تصييرهم مع القضاء على الإسلام في مراكزه ومنطق أضوائه ، ونشر الاحاد والاباحية فيها بكل طريق وأسلوب عكك ، والذي يظن أن المسوّنة قد توقفت عن نشاطها فهو في خطأ ، إذ أنها لا تزال نشيطة تعمل في الخفاء ومن وراء الستار عن طريق أعضائها وبروتوكولاتها ، وهي في الحقيقة من أخطر النشاطات التي تتولى خلق اليأس والرهل في المسلمين وإيجاد جو من الغفلة والشّاؤم نحو دين الإسلام و تأكيد أنه فقد قوته وغناه في العصر الحديث .

إن إلغاء الخلافة العثمانية في عام ١٩١٨ إنما كانت كارثة شملت جميع أقطار المسلمين ، وكان ذلك في الواقع مصدر الكوارث والويلات التي شقت بها الدول المسلمة ، وامتدت منذ ذلك الوقت رقة الشقاء وتشجعت القوى المعادية كلها لضرب المسلمين والغارقة على مناطق نفوذهم ، ووجد من بين المسلمين من عاون أعداء المسلمين في ثبيت دعائم السيطرة على بلدان المسلمين ونفي الإسلام منها ، كما يعرف ذلك المطلعون على تاريخ إلغاء الخلافة العثمانية .

اللهم إلا قضية الحرب القائمة في الخليج بين إيران و العراق منذ نحو خمس سنوات ، فإنها استنفدت من الطاقات ، وقضت على الامكانيات و كبدت من الخسائر المالية والنفيسة ما الله به عليم ، مع إقامة المهاجم والسدود في وجوده النطاعات والامكانيات الاقتصادية والثقافية ، وضع العراقي العظيم في سيل البناء والتعمير والتقدم والرقي ، لا في البلدين المتحاربين فقط ، بل في جميع مشكلة وكل قضية ، وبذل يذرخ أخيراً باللون واللون منها حيث يصعب حصرها ، بلدان الخليج والجزيرة العربية ، التي منيت بهذه الحرب المشئومة المفروضة عليهما من قبل المسلمين إلى أقصى حد عكك و القضاء عليهما بفرض الفقر والجهل والتخلف ومقبلة على حلها واستبدالها بما فيه خير وصلاح للجميع ، بشئ كثير من الجدية



عليه ، و تجفيف منابع التغيرات من آبار البترول بهذه الطريقة مع امتصاص ثرواته بصفقات الأسلحة التي تم حسب رغباتها و شروطها .
و لا شك فان الدول الغربية والولايات المتحدة مكبة على امتصاص طاقات المسلمين و إمكاناتهم بواسطة هذه الحرب ، ولذلك فان جميع المحاولات والمبادرات التي بذلت و تبذل في إنهاء الحرب القائمة المستمرة بين المسلمين و عقد الهدنة يذهبها تفشل بحيث يثبت ذلك الهمم ، ويبيعث اليأس في النفوس من نهاية هذه الحالة السيئة ، و لقد توسيطت جهات كثيرة لهذا الفرض ، ولكن دون جدوى ، و أعجب ما في الأمر أن البلدين المتحاربين كليهما يكرهان الاستمرار والتورط في الحرب ، ولكنها لا يستطيعان أن ينفذَا هذه الرغبة في العودة إلى حالة الأمن والاستقرار وتوديع

الحرب إلى حيث لا عودة منه مرة أخرى ، ذلك أن إحداث أحوال الحرب

هذه بعض الاشارات إلى ما نعانيه - نحن المسلمين - في دولنا وأقطارنا ومجتمعاتنا و إثارة العداوات و الشفاق ، و تأصيل جذور التفرقة و السكرافية بين المسلمين حلقة مهمة جداً من حلقات إضعاف المسلمين و بعثة قواهم و طاقاتهم ، وتشتيت شملهم ، وقد أجمع جميع رؤس المخططات والمؤامرات ضد المسلمين في الغرب والشرق على أن الوحدة الإسلامية التي يدعو إليها الدين الإسلامي أتباعه المسلمين إنما هي جبل

الله المبين الذي إذا اعتمد به المسلم فإنه لن يشق ولن يخور ، ولا يواجه خوف

ولا خطر ما دام معتصماً به في ثقته و إيمانه وتقديره واعتزازه و اعتداده بالنفس و إيمانه للضييم ، و اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكرروا نعمة الله عليكم

إذ كنتم أعداء فالله بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ،

و تأكى الفلسفة الشبوانية بجميع أوضاعها و متاعها و جميع مكايدها و حيلها

إلى دول المسلمين وأقطارهم وتحاول أن تراودهم بسياساتها الرخيصة ، في القضية

العربية و خاصة في قضية إسرائيل ، ولكنها سرعان ما تبرز بملائحتها الأصيلة بالغزو

السوفياتي الغاشم على أفغانستان ، وحضرت المسلمين الأفغان في يومهم و مساكنهم

و يوم كنا نعرف قيمة هذه النعمة العظيمة ، و المنصب الذي أعزنا الله به
و يوم كنا مسلمين بمعنى الكلمة ، خضعت أمم العالم و شعوبه أمام مسلم عادى لم يكن
يعلم من الشرة والأبهة والشوكه شيئاً ، ولقد نجح أعداء المسلمين - وما أكرههم -
في بث الألس عن مستقبل الاسلام ، و تأكيد أن العالم الحديث بعلومه وحضاراته
لا يكاد يستفيد ويفنى ثماره المطلوبة من تعاليم الاسلام وشرائعه و خاصة في
ال المجالات الاجتماعية التي اتسعت إلى أبعد الحدود و الآفاق الانسانية .

إن مشكلتنا الواقعية التي يجب أن نغيرها أهمية كبرى هي ما يختص بتنفيذ
الاسلام كاملاً في الحياة وتطبيق شريعته على المجتمع ، مع الثقة الكاملة بأنه دين
الله الذي لا ينفد مده ، ولا ينضب معنه في أي زمان و مكان ، وهو شريعة
الله الخالدة الكاملة الشاملة ، تحوى جميع مطالب الحياة المادية والروحية يحيط إنها
تفى عن كل مدد خارجي أو علاج داخلي ، وليس فيها ما يمنع الانسان عن التقدم
و الرق في مجالات الحياة ، ولا ما يحرم عليه الانتفاع بالآلات الحديثة والتقنيات
المادية ، و المخترعات الصناعية .

هذه هي المشكلة الكبيرة التي تهمنا و تقلق بانا ف يجب أن ندرك أبعاد
المشكلة الحقيقة ، و ننس في ضوئها الحل الكاف لها ، حتى نتمكن من توجيه ظلال
الاسلام الوارقة إلى المجتمعات الإنسانية ، و تغطية الحياة بتعاليمه الواضحة الشاملة ،
فإن المجتمعات البشرية عامة تبحث اليوم عن ملجاً تأوي إليه من شقاء الحضارات المعاصرة
و تخلص عن المأسى والألام القاسية التي تعيشها .

في ستدى في ثقة و إيمان : (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا
و بينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضاً بعضاً أرباباً
من دون الله)

البس الصبح بقريب ٢١

سعيد الأعظمي

{ ٨ }

التوجيه الإسلامي

إذا انقطعت صة الأرض بالسماء كانت هنالك مناهات وضلالات، وسخافات وسفارات، فوصل الله الأرض بالسماء بنبوة محمد ﷺ ، والاسراء به ، بهذه الأمة أمنية لهذا الالقاء الأرضي والسماوي ، والزمني والمكانى ، القاضى على الحدود الجغرافية ، المكانية ، و الفوارق الزمنية و الاعتبارات العنصرية والجنسية ، ويجب أن يتجلى هذا الالقاء الكريم الفريد في كل مناهج حياتها ، في حضاراتها و اجتماعها ، وفي علمها و تفكيرها و في فلسفاتها و أدبها ، وفي خيالها و جمالها .

و فوق ذلك أن سورة الاسراء إعلان بأن بنى إسرائيل قد فقدوا الجدارة و الصلاحية للهداية الربانية ، وتقلد الرعاعة الدينية ، وقيادة البشرية ، لما أصابهم من أعراض خلقية ، و انحرافات عقائدية ، دينية روحية ، باطنية وظاهرة ، بهذه السورة عبارتنا حوله لترى من آياتنا ، إنه هو السميع البصير ، (١) .

سبحان الذي أسرى بيده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركتنا حواله لترى من آياتنا ، إن هذا الاسراء من مكة إلى ليلة الاسراء والمعراج ، ونحن على غلوة سهم - على التعبير القديم - من المسجد الأقصى الذي أسرى بالرسول ﷺ إليه ، ومنه إلى السماء ، إن هذا الاسراء من مكة إلى القدس ومنه إلى السماء دل على معانٍ عميقة بعيدة الأثر ، طويلة المدى في تاريخ النبوات والديانات وفي المسيرة الإنسانية .

فدل أولاً على أن شخصية الرسول تلقى فيها الأرض بالسماء ، والجزيرة العربية بأرض النبوات الأولى ، الأرض التي بارك الله حوالها ، ويلتقى زمن النبوات الأولى بعد النبوة الأخيرة ، فـأى التقاء أكبر وأوسع وأجل من هذا الالقاء ، فالبشرية تلقى بمصدر النبوات والهدىات السمائية ، والأرض تلتقي بالسموات العلى ، إنه رسول الله ﷺ في الحج الأكبر : «إن ربكم واحد وإن أباكم واحد لا فضل

من معنى الاسراء و المعراج

سماعة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الدوى

[معان اقتطفت من كلمة أقيمت في مسجد سيدنا عمر بن الخطاب بالورقاء في عمان في ليلة الاسراء و المعراج (٢٧ من رب ١٤٠٤هـ) و محاضرة أقيمت في جامعة اليرموك بالأردن في ٢٩ من رب ١٤٠٤ ، وفي كلية العلوم العربية في عمان غرة شعبان ، وكلها يدور حول الاسراء و المعراج و المسجد الأقصى المبارك] .

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله :

«سبحان الذي أسرى بيده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركتنا حواله لترى من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » (١) .

أيها الاخوة الكرام ! إن هذه الآية هي خير ما يفتح بها هذا الاحتفال في ليلة الاسراء والمعراج ، ونحن على غلوة سهم - على التعبير القديم - من المسجد الأقصى الذي أسرى بالرسول ﷺ إليه ، ومنه إلى السماء ، إن هذا الاسراء من مكة إلى القدس ومنه إلى السماء دل على معانٍ عميقة بعيدة الأثر ، طويلة المدى في تاريخ النبوات والديانات وفي المسيرة الإنسانية .

فدل أولاً على أن شخصية الرسول تلقى فيها الأرض بالسماء ، والجزيرة العربية بأرض النبوات الأولى ، الأرض التي بارك الله حوالها ، ويلتقى زمن النبوات الأولى بعد النبوة الأخيرة ، فـأى التقاء أكبر وأوسع وأجل من هذا الالقاء ، فالبشرية تلقى بمصدر النبوات والهدىات السمائية ، والأرض تلتقي بالسموات العلى ، إنه رسول الله ﷺ في الحج الأكبر .

لعربي على عجمي ، ولا لجمي على عربي ، ولا لايض على أسود و لا لأسود على أيض ، إلا بالتفوي ، (١) .

و لما كان ذلك تحولاً كبيراً من أعظم التحولات في تاريخ الديانات ، و في مصائر الأمم ، وفي تاريخ الواقع البشرية ، كان هذا الحدث العظيم جديراً بأن يطلب الله النبي الكريم إلى السماوات العلي ويسله منصب القيادة بطريق مباشر ويشرفه بالقرب و التكريم الذي لم يتلق به أحداً من قبله .

إخوان ! إن اليهود لا مستقبل لهم إذا كان الله حكيمأ رحيمأ ، و إذا كان الله رب الأجيال البشرية كلها و رب العالمين ، لا رب خراف بني إسرائيل الضائعة ، فلا مستقبل لليهود أبداً ولو فتحوا العالم كله - لا قدر الله - لأن اليهود أمة تقوم على تقدس العنصر والسلالة ، أمة تقوم على الحقد للبشرية والتاريخ كله ، أمة تقوم على الأحلام والأمانات السلالية و الشعيبة فقط ، و لا شأن للإنسانية بهذه الأمانات والآلام ، إن حاجة الإنسانية أمة تقود البشرية كلها وترتبط مصيرها بمصير البشرية ، لأن الله سبحانه و تعالى لم يخلق الجيل البشري ليكون عبداً إسلامة خاصة ، هذا ما لا يسوعه وبسيطه عقل بشري ، فكيف بالله تبارك و تعالى ، إن اليهود ليست لهم أصول ولا جذور في الأرض ، إنما هر شقي طاف على سطح الماء .

إن الإسراء إليها الإخوان لم يكن ليكون عبداً في الأمة يختلف به كل عام ، إن الإسلام ليس دين الأعياد كما هو الشأن في ديانات أخرى ، فإنها تقوم على الأعياد والمهرجانات ، و الأيام التي تحفل بها ، و إذا أخذ كل عبد تحفل به طافقة من طوائفها ، كانت أيام السنة كلها أعياداً و مواسم ، والأعياد هي التي تربط المجتمعات في هذه البلاد بالديانات ، فلولا هذه الأعياد والمهرجانات لضاعت الديانات ونفيت ،

(١) ابن النجار عن أبي سعيد بر MADE بعض الكلمات (الجامع الكبير لابن حجر).

فأنهم يجتمعون في هذه الأعياد ويدركون ما عندهم من عادات ، وطبقون وعبادات ، فيقيمونها ، و بذلك يتظلم شملهم .

إن الإسراء لا شئ خاص بالرسول ﷺ ، ولكنه سهو للإنسانية عن طريق محمد ﷺ ، إن الله تبارك و تعالى قد ضرب مثلاً - و إن كان هذا المثالختص بالرسول الأعظم ﷺ - ولكنه نبي بشر ، فيشير إلى أن هنالك يبلغ البشر و إن كان مرة واحدة ، ولكنه هو البشر الذي وصل ، ولم يبلغه غير البشر ، هذا يثير فيما السمو ، ويثير فيما الثقة بالإنسانية و كرامتها .

والشيء الثاني أن هذا الدين مرتبط بالسماء ، مرتبط بارادة الله تبارك و تعالى ، ليس مرتبطًا بالتجارب البشرية ، ليس مرتبطًا بالعقل البشري ، ليس مرتبطًا بالجهود البشرى ، بل مصدر هذا الدين هو السماء .

و المعنى الثالث أن سورة الإسراء ثبت أن هذه الرسالة عالمية إنسانية ، فإذا كانت غير هذا و دون هذا ، لما طلب محمد ﷺ من جزيرة العرب - وهو نائم في مكة - إلى القدس ، ثم إلى السماوات العلي ، إن اتصاله أولاً بالأرض المقدس بفلسطين ، التي هي بعيدة عن جزيرة العرب ، ثم اتصاله بالسماء ، يدل على أن هذه الرسالة عالمية إنسانية آفاقية ليست محصورة في جزيرة العرب ، و إلا أي حاجة دعت إلى أن يطلب الله رسوله إلى القدس أولاً ليصل هناك بالأنبياء عليهم السلام ، إن الإسراء إليها الإخوان لم يكن ليكون عبداً في الأمة يختلف به كل عام ، إن الإسلام ليس دين الأعياد كما هو الشأن في ديانات أخرى ، فإنها تقوم على الأعياد ثم يطلب إلى السماوات ؟ ، فلتعرف أن مركزنا أكبر مما نحن فيه ، و إن مسئولتنا و المهرجانات ، و الأيام التي تحفل بها ، و إذا أخذ كل عبد تحفل به طافقة من الأرض كلها ، أصغر من شخصيتنا ، نحن أمة الرسالة ، نحن أمة الهدى ، نحن أمة طوائفها ، كانت أيام السنة كلها أعياداً و مواسم ، والأعياد هي التي تربط المجتمعات العالم وأمة الإنسانية ، إنساناً عرباً ولا جهماً ، إنساناً أردنياً و سورياً ، وفلسطينيين و هنوداً و باكستانيين طبع ، نحن أمة نبي الإسراء و المراجع ، الذي انحدرت فيه الأبعاد والمسافات ، والمواجز الجغرافية والاعتبارات السياسية ، والفارق الجنسي .

إنه ناب عن المحرمات وترك المللذات ، ورأى أن الله سبحانه وتعالى خلقه لامر عظيم لا يتفق معه فهو والترف ، وكان رحمة الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال ، و كان كالفاقدة ولدها (١) .

هناك تبرز من أطهاركم وأجسامكم شخصيات جديدة تقفز من الداخل وتتجاذب العالم . وقد وقع ذلك مراراً في التاريخ الإسلامي ، فإذا أظلمت الآفاق ، وإذا النق قرب المكان بحلول الزمان ؟ لقد أدركت ليلة الاسراء و المراج بعد ما عقلت أكثر من خمسين مرة ، ولكنها هي المرة الأولى التي تصادق فيها أو أصادفها ، إن شاء الله .

قد قلت بالأمس إذا كان هناك استفهام عام في العالم الإسلامي ، استفهام حر جديدة لم يكن لي عهد بها ، وفتحت لي نوافذ جديدة لفهم معانى الاسراء و المراج ، كان الجواب الوحيد عن الرجل المطلوب المحتاج إليه اليوم في العالم الإسلامي ، كان الجواب الوحيد و التأمل في سورة بي إسرائيل ، و الحنين إلى المسجد الأقصى و الصلة فيه ، و الشوق إلى أن أراه في مكانه الطبيعي التاريخي العالمي ، وفي أيدي الوارثين للرسالة الأخيرة ، المؤمنين بجمع الأنبياء ، الغيارى على رسالتهم وأماناتهم ، الحسين للإنسانية كلها ، المجاهدين في سبيل إسعادها و النهوض بها ، وحق لي أن أتمثل بيتهى الشاعر العربي القديم متمثلاً للمسجد الأقصى المبارك ، وأنا على مقربة منه في عمان :

و لما نزلنا منزلنا طله الذي أنيقاً و بستاننا من النور حالياً
أجد لنا طيب المكان وحسننا من فتنينا فكنت الأمانيا

هذه كلها معان و حقائق نستطيطع أن نتقاها و نتعلماها من ثنايا سورة الاسراء التي ضممتها الله القرآن الكريم الذى يدوم و يثبت إلى أن يوث الله الأرض و من عليها .
أهنتكم إليها الأخوان على ليلة الاسراء و المراج ، و أتم على مقربة من مكان الاسراء و المراج ، وقرب الزمان و المكان أثر و معنى ليس في البعد ، فكيف إذا النق قرب المكان بحلول الزمان ؟ لقد أدركت ليلة الاسراء و المراج بعد ما عقلت على قرب من مكان الاسراء و المراج ، فأثار ذلك في نفسى معانى و أحاسيس جديدة لم يكن لي عهد بها ، وفتحت لي نوافذ جديدة لفهم معانى الاسراء و المراج ، و التأمل في سورة بي إسرائيل ، و الحنين إلى المسجد الأقصى و الصلة فيه ، للرسالة الأخيرة ، المؤمنين بجمع الأنبياء ، الغيارى على رسالتهم وأماناتهم ، الحسين للإنسانية كلها ، المجاهدين في سبيل إسعادها و النهوض بها ، وحق لي أن أتمثل بيتهى الشاعر العربي القديم متمثلاً للمسجد الأقصى المبارك ، وأنا على مقربة منه في عمان :

و لما نزلنا منزلنا طله الذي أنيقاً و بستاننا من النور حالياً
أجد لنا طيب المكان وحسننا من فتنينا فكنت الأمانيا
إن القضية في إنقاذ فلسطين، قضية العقبة وقضية الأخلاق، قضية العزم الصادق،
فإذا صحت العزائم وصدقت القلوب ، زوال اليهود كما يتقشع الضباب ، نحن في حاجة
إلى تربية جديدة ، تربية إسلامية ، إلى عقيدة كأنها عقيدة جديدة ، لستنا في حاجة
إلى دين جديد - حاشا له - لم يكتننا في حاجة إلى إيمان جديد ، إذا كانت الأحوال
غير عادية احتاج الإنسان فيها إلى إيمان غير عادي ، إلى إيمان قوى عريق ، إلى
إيمان حي دافق ، إلى إيمان إذا لم يكن إيمان الصحابة رضي الله تعالى عنهم فليكن
إيمان صلاح الدين الأيوبي ، وكثير من الجنود التي قاتلت تحت رايته ، يقول القاضي
بهاء الدين المعروف بابن شداد عن صاحبه صلاح الدين الأيوبي :

و اختم حديثي بيتين للزركل ، مخاطباً لlama العريبة الإسلامية :

هاتي صلاح الدين ثانية فيما

و جددى حطين أو به حطينا

(١) التوادر السلطانية ص / ١٥٥ ، ويرجع إلى ص / ٢١٣-١٦ .

(٢) الرواية في صحيح البخاري وصحح مسلم في باب غزوة خير .

(٣) سورة الاسراء - ٢٠ .

الغاية النهائية للارادة ؟ أم هو مرحلة من مراحل الحركة الارادية ؟ هذا ما سنعرفه باذن الله أثناء تحليلنا للارادة عنده، رحمة الله.

الحركة و الارادة :

يقسم ابن تيمية الحركة إلى ثلاثة أنواع :

- [ا] الحركة القسرية الكرهية و هي التي مبدؤها من غير المتحرك.
- [ب] الحركة الطبيعية ، و هي مبدؤها من المتحرك و لكن بدون شعور منه.
- [ج] الحركة الارادية : و هي مبدؤها من المتحرك و على شعور منه .
ويتضح هذا في قوله : «الحركة إما أن يكون مبدؤها من المتحرك وإما من غيره ، فـا كان مبدؤها من المتحرك فهي القسرية الكرهية ، و ما كان مبدؤها من المتحرك ، فـا كان على شعور منه فهي الارادة ، و إلا فهي طبيعية» (١) والذي يهمنا في هذا البحث الحركة الارادية ، التي مبدؤها من المتحرك ذاته و بشعوره .

و اختياره ، و هي الحركة الصادرة عن الإنسان .
فهذه الحركة يمكن أن تتجه إلى الخير أو إلى الشر ، فالحركة الارادية المتوجهة مستكينة للباطل والهوان . وتبقى عزيزة الجانب ، مهباً كبرت قوة الأعداء ، و كأنه ينادي مسلم اليوم ، الذي أصبح ضعيف الارادة ، قوله أكثـر منه فعالاً خاصـماً لـأعدـائه .

يتظـر سـكـينـ الجـزارـ فيـ خـوفـ ، يـنـادـيـ مـسـلـمـ الـيـوـمـ أـنـ اـسـتـيقـظـ مـنـ سـبـانـكـ فـقـدـ طـالـ

نـوـمـكـ ، وـ اـقـضـ عـنـكـ غـبـارـ الذـلـ وـ الـهـوانـ ، وـ أـعـدـ بـجـدـ أـمـتـكـ ، وـ اـرـفـعـ عـلـمـ الـجـهـادـ .

عـالـيـاـ خـفـاقـاـ وـ لـيـنـصـرـنـ أـهـلـ مـنـ يـنـصـرـهـ ،

وـ عـزـ رـحـمـهـ ، الـجـابـ الـعـملـ مـنـ الـارـادـةـ الـمـتـحـركـةـ الـحـيـةـ ، بـغـكـرـ نـظـرـىـ حـقـيقـةـ

للـارـادـةـ ، وـ حـتـىـ يـتـضـحـ لـنـاـ مـفـهـومـ الـارـادـةـ عـنـ ابنـ تـيمـيـةـ لاـ بدـ مـنـ درـاسـتـهاـ عـلـىـ أـنـهاـ حرـكـةـ ، وـ عـلـاقـةـ هـذـهـ حرـكـةـ بـالـنـفـسـ الـإـنسـانـيـةـ وـ قـيـمـةـ الـعـلـمـ فـيـ الـارـادـةـ ، وهـلـ هوـ

الـفـوـضـيـةـ الـمـشـكـرـةـ ؟ (٤)

{ ١٧ }

النفس و الارادة :

النفس عند ابن تيمية هي مركز الارادة و الشعور ، و حقيقةها لا توجد إلا بوجود الارادة يقول : «و لا يتصور أن تكون النفس إلا شاعرة مربدة » (٤)

الارادة ، عند الشيخ ابن تيمية

الأستاذ فهوى قطب الدين نجاشي

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (الرياض)

الارادة عند الشيخ ابن تيمية ، هي أساس العمل و إعصار الدنيا ، و إحقاق الحق ، و الجهاد في سبيل الله ، وفي غيابها أو انحرافها عن طريقها القوم قد يفتقد العمل الصالح و تحمل الأخلاق ، و يعز الباطل و تذل الأمة .
و كان رحمة الله ، في حياته ، كلها مثال الارادة المتحركة الحية ، رافعاً لواء
في سبيل ذلك السجن و العذاب ، حتى وفاته - رحمة الله - في السجن .

كانه يضرب المثل الحي لامته الاسلامية التي يجب أن لا تعيش في ذل و خنوع
مستكينة للباطل والهوان . وتبقى عزيزة الجانب ، مهباً كبرت قوة الأعداء ، و كأنه
ينادي مسلم اليوم ، الذي أصبح ضعيف الارادة ، قوله أكثـرـ منهـ فـعـالـ خـاصـماـ لـأـعـدـائـهـ .

يتظـر سـكـينـ الجـزارـ فيـ خـوفـ ، يـنـادـيـ مـسـلـمـ الـيـوـمـ أـنـ اـسـتـيقـظـ مـنـ سـبـانـكـ فـقـدـ طـالـ

نـوـمـكـ ، وـ اـقـضـ عـنـكـ غـبـارـ الذـلـ وـ الـهـوانـ ، وـ أـعـدـ بـجـدـ أـمـتـكـ ، وـ اـرـفـعـ عـلـمـ الـجـهـادـ .

للـارـادـةـ ، وـ حـتـىـ يـتـضـحـ لـنـاـ مـفـهـومـ الـارـادـةـ عـنـ ابنـ تـيمـيـةـ لاـ بدـ مـنـ درـاسـتـهاـ عـلـىـ أـنـهاـ حرـكـةـ ، وـ عـلـاقـةـ هـذـهـ حرـكـةـ بـالـنـفـسـ الـإـنسـانـيـةـ وـ قـيـمـةـ الـعـلـمـ فـيـ الـارـادـةـ ، وهـلـ هوـ

{ ١٦ }

الشعور بالمراد ، فما في النفوس من قوة الحجة له (إله) إذا شعرت به ، يقتضي
جهة إذا لم يحصل معارض ، (٨) .

ويضرب لنا ابن تيمية مثلاً حسناً من الدوافع الحيوية الفطرية للإنسان ، على
نطريه الارادة الحيرة في الإنسان مثل الإيمان بالله و محنته و الأخلاص له فبقول :
، وهذا موجود في حبة الأطعمة والأشربة والنکاح وحبة العلم و غير ذلك ، وقد
ثبت أن في النفس قوة الحجة لها و الذل لها ، و إخلاص الدين لها ، وأن فيها
قدرة الشعور به ، لزم قطعاً وجود الحجة فيها ، وعلم أن المعرفة و الحجة لا يشترط
فيها وجود شخص متفصل يكلّمها بكلام ، وإن كان وجود هذا قد يذكر و يحرك ،
كالخطب الجائع بوصف الطعام أو خطب المعلم بوصف النساء فإن هذا مما يذكر
و يحرك ، لكن لا يوجد ذلك في وجود الشهوة للطعام و وجود الأكل ، (٩) .

الارادة و العمل :

و إن انتقال الارادة إلى حركة و عمل هو أخطر ما في موضوع الارادة ،
إذ أنها إذا بقيت حبيبة في النفس ، لا يستفاد منها في مجال العمل المستمر في الحياة ،
و الإنسان صاحب الارادة ، يبقى عاجزاً عن تنفيذ أي عمل ، و بهذا العجز تتعطل
كثيرة في الحياة مثل : الأهواء ، والغرائز المسيطرة على الإنسان ، فإن تحررت النفس
الأنسانية عن عبودية الأهواء ، و الغرائز ، انطلق الإنسان نحو العمل الخير المفيد له
في الدنيا و الآخرة .

وقال تعالى : إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، كانت لهم جنات الفردوس
عز و جل على العمل و قوله تعالى بالآيات في حوالى ستين موضعًا من القرآن الكريم .
يقول ابن تيمية : فكذلك الأسباب الخارجية لا يتوقف عليها وجود ما في الفطرة
من الشعور بالخلق و محنته ، و إن كان ذلك مذكراً و محركاً ، أو من بلا للعارض

المانع ، لكن المقصود أنه لا يحتاج حصول ذلك في الفطرة إليه مطلقاً ، (٧) .
فالعمل آخر مراحل حركة الارادة الحرة الاختبارية للإنسان ، وهو ضروري
لحياته ، و لكن يعيش ، و يعمر الأرض ، و يحقق خلافة الله فيها ، و إن حسن
العمل و قبحه تابع لحسن الارادة أو قبحها ، فالارادة الحيرة تشرع عملًا خيراً
لا يكون سبباً إلا من نفس الحي المريد الفاعل ، ولا يشتراك في إرادته إلا مجرد

و يقول : « و لا يتصور أن تكون نفس الإنسان غير مريدة » فالارادة متلازمة
مع وجود النفس الإنسانية ، ولكن السؤال الذي يطرح ، هل الارادة مكتسبة في
النفس الإنسانية ، أي وجدت بعدها ؟ أم أنها موجودة بالفطرة ، أي وجدت معها ؟
فيجيب ابن تيمية ، بأن الارادة فطرية في النفس ، إذ فطر الله النفس مريدة ،
يقول رحمه الله : « و لا يتصور أن النفس لها مطلوب مراد بضرورة فطرتها ،
و كونها مريدة من لوازمه ذاتها » ، (٦) .

فالارادة كامنة في النفس الإنسانية ، فهي كالطاقة المخزنة ، يمكن أن تتحول
هذه الطاقة إلى حركة و عمل و سلوك ، وتحوطها يحتاج إلى منه خارجي ، وهكذا
نجد ابن تيمية يتكلّم عن المنبه الخارجي للسلوك قبل أن يتمّلّ عنه علماء النفس الحديثون
بقرآن عديدة .

فالتنبيه والتذكير عند ابن تيمية وظيفة تأق من خارج النفس ، فيحرك ما في داخلها
نحو العمل والحركة ، أو هو يزيل ما يعيق الارادة من أن تتحول إلى عمل ، والعواقب
كثيرة في الحياة مثل : الأهواء ، والغرائز المسيطرة على الإنسان ، فإن تحررت النفس
الأنسانية عن عبودية الأهواء ، و الغرائز ، انطلق الإنسان نحو العمل الخير المفيد له
في الدنيا و الآخرة .

و هكذا نجد أن المنبه أو المذكّر يطلق ما في الفطرة ولا يضيف شيئاً إليها ،
يقول ابن تيمية : فكذلك الأسباب الخارجية لا يتوقف عليها وجود ما في الفطرة
من الشعور بالخلق و محنته ، و إن كان ذلك مذكراً و محركاً ، أو من بلا للعارض
ومبدأ الحركة الارادية مركزة في النفس الإنسانية : « إذا الأفعال الارادية
لا يكون سبباً إلا من نفس الحي المريد الفاعل ، ولا يشتراك في إرادته إلا مجرد

المحرك نحو العمل . وإن عجز الإنسان و عجز المجتمعات عن تنفيذ إراداتها تاجع عن ضعف همتها ، و حساسها في التحرك نحو العمل الصالح الخير . فقد يتصور الإنسان أو تتصور المجتمعات والأمم ما تزيد عمله من تحرير نفسها من العبودية ، أو من تحرير أرضها ومقدساتها عن أيادي الآخرين ولكنها تنقص على نفسها ، و تسترخي من جديد ، لأنعدام حجتها و حساسها ، و مرجع ذلك إما إلى الخوف والجبن من الأعداء أو حبها للدنيا و كراهيته الموت .

و هنا يمكن دور الدعاة والمصلحين ، و المجددين للدين ، و خاصة نحن نعيش و بذنه ، (١١) .
صحوة إسلامية مباركة ، وهذا الدور يتمثل ببعث الهمة و الجهد في تصور الأفراد و المجتمعات ، و طرد الخوف عن قلوبهم ببعث الإيمان في هذه القلوب ، ليتقلوا من مرحلة الأحلام والأقوال فقط إلى مرحلة العمل الصحيح و المثمر ، وبه تعز الأم و تتحرر العقول من الأوهام ، و تسترد الكرامات و المقدسات .
اللهم اجعل عملنا خالقاً لوجهك الكريم ، و مستقبلاً على السنة المطهرة إنك سميع بحسب ، و الحمد لله رب العالمين .

هوامش :

- (١) و (٢) و (٣) كتاب درء تعارض العقل و النقل لابن تيمية : ج ٩ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .
 - (٤) و (٥) و (٦) المصدر السابق : ج ٨ ص ٤٦٥ .
 - (٧) و (٨) و (٩) المصدر السابق : ج ٨ ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .
 - (١٠) المسند ، ط الحلبي ج ٤ ص ٣٤٥ .
 - (١١) درء تعارض العقل و النقل ، ج ٨ ص ٤٥٧ ، والسياسة الشرعية ص ١٣٢ .
 - (١٢) درء تعارض العقل و النقل ، ج ١٠ ص ٥١ .
- (٢١) (٢١)

★ الارادة ، عند الشيخ ابن تيمية ★

و الارادة الفاسدة القبيحة تشعر عملاً فاسداً قبيحاً .
يقول ابن تيمية رحمه الله : « فان الانسان متحرك بالارادة ، وهذا قال تعالى ، أصدق الاعمال الحارث و همام و أحباها إلى الله عبد الله و عبد الرحمن و أقيبها حرب و مرة » (١٠) فان الانسان لا بد له من حرث و هو العمل و الحركة الارادية ولا بد له من أن يهم بالأمور ، منها ما يهم به ويفعله ، و منها ما يهم به و لا يفعله ، فان كان المراد موافقاً لمصلحته كانت الارادة حسنة محمودة وإن كان مخالفًا لمصلحته كانت الارادة سيئة ومذمومة كمن يريد ما يضر عقله و نفسه و بذنه » (١١) .

و حتى يكون العمل مثمرأً ، و مفيدةً لا بد و أن يسبقه عند الانسان العامل تصور دقيق لما يريد ، ثم يتحرك لتنفيذ الصورة المطلوبة . . يقول ابن تيمية : « العاقل الفاعل فعلاً باختياره يتصور ما يريد أن يفعله في نفسه ثم يوجده في الخارج ، فتلك الصورة الموجودة بفعله ليست هي الصورة المعقولة بذهنه ، كمن أراد أن يضع شكلًا مثلًا أو مربعاً أو يصنف خطبة أو يبني داراً أو يغرس شجرًا أو يسافر إلى مدينة فإنه يتصور ما يريد ابتداء ف تكون له صورة عقلية في نفسه قبل صورته التي يوجدها في الخارج » (١٢) .

و مكذا تخلص إلى مراحل العمل عند ابن تيمية وفق ما بلي :

النفس - الارادة - التصور - الهمة - العمل

فالعمل آخر مراحل الارادة ، و لا بد من جميع هذه المراحل للحركة الارادية و بفقدان أي عنصر من هذه المراحل ، يكون العمل ناقصاً أو معدوماً ، فالنفس هي مركز الارادة و منها تنطلق و تتحرك ، ثم يتصور الانسان ما يريد عمله و يرسم له صورة ذهنية في عقله ، و يخطط لتنفيذ هذه ، و حتى هذه المرحلة يكون العمل لا زال في المرحلة الداخلية للإنسان ، و لن ينتقل إلى الخارج ، وإلى حين التنفيذ إلا بالهمة و التي يمكن أن نعرفها ، بالنشاط أو الحماس النفسي

كان الاعداد لنشوء الدولة الإسلامية بما تم من بيعة عند العقبة مرتين على التوالي . غير أن نشاط الرسول ﷺ ، السياسي ، بدأ بهجرته إلى المدينة المنورة ، و بنائه للمسجد ، و مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار ، و كتابته للدستور ، ثم اتضحت هذه التوجيهات شيئاً فشيئاً بتغلبه على القبائل العربية ، و بده انتشار الدين في كافة أرجاء العالم ، لقد كان الرسول ﷺ ، يأمر و ينهى ، و يولى و يعزل ، و يوجه و يصلح ، و يعقد الحدنة ، و يشن الغزوات ، و يبعث بالرسائل إلى الملوك ، و يشاور و يباعي و يعدل .

و كان المسلمون يطعون الرسول ﷺ . و يتحدون و يجاهدون و يبتعدون عن التصرفات الجاهلية ، و يبايعون و لا يخلون بالمشورة و النصحة ، و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر .

و هكذا قام مكان النبي السياسة الجاهلية المتهمة ، نظام سياسي إسلامي قوي

الأركان و متين البنية

و ظهر هذا النظام السياسي الإسلامي في شكل :

١- توجيهات قرآنية .

٢- توجيهات نبوية شفوية .

٣- سنة فعلية سنتها الرسول ﷺ .

و يتمحور هذا النظام السياسي حول محورين رئيسين هما :

الرد على النظم السياسية الجاهلية .

رسولاً منا ، نعرف نسبه ، و صدقه ، و أمانته ، و عفافه ، فدعانا إلى الله لتوحده

و نعبده ، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ،

و أمرنا بصدق الحديث ، و أداء الأمانة ، و صلة الرحم ، و نهانا عن الفواحش ،

فضدقاً ، و آمنا به ، و اتبعناه ، على ما جاء به من الله ، وفي هذه المرحلة المركبة

المبادئ السياسية في السنة النبوية

بقلم : الدكتور عبد الطيف عبادة
أستاذ الفلسفة ، بقسطنطينية

من الصعب أن نجمع كل المبادئ الوراثة في السنة النبوية القولية و الفعلية في بعض صفحات ، و أن نصور الانقلاب الذي أحدثه في النبي السياسية للجتماع الجاهلي ، و لكننا سنحاول أن نركز على أبرزها وأهمها ، و إن كانت كل التوجيهات النبوية هامة و بارزة .

لقد ركز الرسول ﷺ ، في مكة على ترسين العقيدة في قلوب المسلمين ، ولكنه كان مع ذلك يرسخ في قلوبهم المبادئ العامة لهذا الدين ، كالتوحيد و العدل ، و ينهى عن الشرك والجور ، و كان يعلن أمام الجميع بأن الناس سواسية أمام الله كأسنان المشط ، لا يمتاز بعضهم على بعض إلا بالبر والتقوى ، ولا تخلو هذه المبادئ العامة من مظاهر سياسي كاذبي ، و لا تخلو كذلك قلب تصورات المجتمع الجاهلي رأساً على عقب ، و يصور لنا ذلك جعفر بن أبي طالب أصدق تصوير : (كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، و نأكل الميتة ، و نأذن الفراش ، و نقطع الأرحام ، ونسوه الجوار ، و يأكل القوى منا الضيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولنا ، نعرف نسبه ، و صدقه ، و أمانته ، و عفافه ، فدعانا إلى الله لتوحده و نعبده ، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ، فصدقناه ، و آمنا به ، و اتبعناه ، على ما جاء به من الله ، وفي هذه المرحلة المركبة

و يحمل تحكيمه بين المسلمين في الاشتجار أمرًا لا يرد ولا يقبل بأية حال الشك في عده ، قال تعالى : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حرجًا مَا قَضَيْتُ وَ يَسْلُوْا تَسْلِيْا » (النساء ٦٤) . وينص القرآن على أن من بايع رسول الله ﷺ قد بايع الله ف يقول : « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَأْبَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قَلْوَبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِنَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثْبَمَهُمْ فَتَحًا قَرِيًّا » (الفتح : ١٨) . و قال : « إِنَّ الَّذِينَ يَأْبَعُونَكَ إِنَّمَا يَأْبَعُونَ اللَّهَ يَدَاهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَنَكِثُ فَانِّمَا يَنْكِثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، وَ مَنْ أُوفَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسُوتُّهُ أَجْرًا عَظِيمًا » (الفتح ١٠) .

ويؤكد القرآن على ثواب من بطيخ الله و الرسول يقول : « وَمَنْ بَطَعَ اللَّهُ وَالرَّسُولُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَفْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الدِّينِ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ وَ حَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ، ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كُفُّ بِهِ عَلِيًّا » (النساء ٧٠-٦٩) . و يؤكد القرآن على ضرورة إذعان المسلمين للأحكام الصادرة عن رسول الله ﷺ : « وَ مَا كَانَ لَمْؤْمِنٌ وَ لَا مُؤْمِنٌ إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لِهِمْ مُنْكَرٌ » (الأحزاب ٣٦) . يتحدث القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ ، وعن صفاتاته ، وعن وجوب طاعته ، لأن طاعته من طاعة الله ، وعن أخلاقه و عن رحمته بالمؤمنين ، وعن توافقه ، ويمن على المؤمنين أن بعث لهم رسولاً من أنفسهم ، يقول المولى سبحانه و تعالي : « لَقَدْ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَذْبَعْتُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَنْذُرُهُمْ آيَاتَهُ وَ يَزْكِيهِمْ وَ يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ ، وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِفْ ضَلَالٍ مُبِينٍ » ، (سورة آل عمران : ١٦٤) .

و يحمل المولى سبحانه و تعالي طاعة الرسول من طاعة الله ف يقول : « مَنْ بَطَعَ الرَّسُولُ فَقَدْ أَطَعَ اللَّهَ ، وَ مَنْ تَوَلَّ فَإِنَّا أَرْسَلَكُمْ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » (النساء ٨٠) .

(٢٥) (٢٤)

★ و لا تتغير مبادئه العامة بتغير الأزمة و الظروف و المصالح . و قد أثبت هذا النظام فعاليته في قلب البرق السياسية للجتماع الجاهلي ، و تفوقة على نظمه السياسية البالية ، و تمكن من بسط نفوذه على كافة أرجاء المعمور ، وهو في وقتنا الحالي يبرهن على قدرته على أن يخلص العالم من شرور العلانية ، والماكياجية و الغوغائية ، و الفاشية ، و البراجماتية ، و على أن ينقذ البشرية من براثن الظلم ، و التمييز المنصرى ، و الحروب الفتاك المدمرة ، و الطبيعة الطاغية ، وهو فوق ذلك كل .

يبرهن على قدرته على توجيه الأجناس ، و المواجهة بينها في عالم تسوده الحرية و العدالة و السلام .

لذلك فنحن نهيب بأبناء العالم الإسلامي ، و بال الإنسانية قاطبة ، بأن يرجعوا إلى توجيهات الإسلام في المجال السياسي ، وفيها الخلاص مما تتغطى به البشرية من مشاكل سياسية تبدو عسيرة الحل .

الرسول ﷺ في القرآن الكريم :

يتحدث القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ ، وعن صفاتاته ، وعن وجوب طاعته ، لأن طاعته من طاعة الله ، وعن أخلاقه و عن رحمته بالمؤمنين ، وعن توافقه ، ويمن على المؤمنين أن بعث لهم رسولاً من أنفسهم ، يقول المولى سبحانه و تعالي : « لَقَدْ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَذْبَعْتُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَنْذُرُهُمْ آيَاتَهُ وَ يَزْكِيهِمْ وَ يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ ، وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِفْ ضَلَالٍ مُبِينٍ » ، (سورة آل عمران : ١٦٤) .

و يحمل المولى سبحانه و تعالي طاعة الرسول من طاعة الله ف يقول : « مَنْ بَطَعَ الرَّسُولُ فَقَدْ أَطَعَ اللَّهَ ، وَ مَنْ تَوَلَّ فَإِنَّا أَرْسَلَكُمْ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » (النساء ٨٠) .

فَالسَّنَةُ تَبَيَّنَ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ذَكْرًا لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَمَا لَمْ يَتَفَكَّرُوا» (النَّجْل: ٤٤) • وَمَا أَنْتُمُ الرَّسُولُ خَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (الْحَشْر: ٧) • وَقَالَ تَعَالَى: «وَإِنْ تَطِعُوهُمْ تَهْدُوهُمْ إِلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» (النُّورُ ٥) • وَقَالَ: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوِيفٌ رَحِيمٌ» (التوبه: ١٢٨)، وَقَالَ: «فَإِنَّمَا رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْتُ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتُ فَظًا غَلِطَ الْقَلْبُ لَا يَنْفَضُوا حَوْلَكُمْ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَامْسِكُوهُمْ وَشَارُوهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذَا عَزَّمْتُ فَتُوكِلُ عَلَى اللَّهِ يَحْبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (آلْعَمَرَانَ: ١٥٩).

وَمَكَذَّا يَحْدُثُنَا الْقُرْآنُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَسَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَمَا تَحْتَوِيُ عَلَيْهِ مِنْ تَوْضِيحٍ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ، وَمِنْ عَدْلٍ وَرَحْمَةٍ، وَلَا غَرَوْنَا أَنْ تَكُونَ المبادئُ السِّيَاسِيةُ الْوَارِدَةُ فِي السَّنَةِ تَوْضِيحاً لِلتَّوْجِيهَاتِ السِّيَاسِيةِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

من توجيهات القرآن في السياسة إلى توجيهات السنة النبوية:

لَقَدْ سَبَقَ لَنَا أَنْ يَبْيَأَنَا فِي أَحَدٍ بِحَوْثَنَا أَهْمَّ التَّوْجِيهَاتِ السِّيَاسِيةِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ، مِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَدَاءِ أُولَيِ الْأَمْرِ لِلْإِمَامَةِ، وَوُجُوبِ طَاعَتِهِمْ فِي الْمَعْرُوفِ، وَنَحْكَمُ الْقُرْآنَ وَالسَّنَةَ فِي كُلِّ اشْتِجَارٍ يَحْدُثُ بَيْنَ الْحَكَامِ وَالرَّعْيَةِ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِبَيْعَةِ الْمُسْلِمِينَ لِلرَّسُولِ مُصَلِّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّوَّرِيِّ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِحَاكِمَةِ اللَّهِ.

وَقَدْ نَصَّ الْقُرْآنُ عَلَى الْهُدْفِ مِنْ قِيَامِ الدُّولَةِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى وَحدَةِ الْأَمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنْعَتِ الْإِسْتِبْدَادِ وَالْجَبْرِ وَالظُّلْمِ، وَمَجْدِ الْعَدْلِ، وَوَضْعِ الْمَقَايِيسِ الَّتِي يَجْبُ أَنْ تَتَوفَّ فِي الْحَكَامِ، كَالْبَسْطَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْجَسْمِ، وَسِنْدَكُرُ عَلَى سِيلِ الْمَثَالِ بِعَضِ الْآيَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِنَظَامِ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ، يَقُولُ تَعَالَى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوْدُوَ الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ

الرد على بعض المزاعم حول السياسة النبوية :

إن السياسة النبوية كأسرى، هي سياسة عادلة يمكن أن تحكم مجتمعاً وجسم، وسذكر على سبيل المثال بعض الآيات المتعلقة بنظام الحكم الإسلامي، يقول تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوْدُوا الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ

كانت تسوده روح القبلية، بمقتضيات الأخلاق والمثل العليا، وقد كان هذا النظام { ٢٢ }

- كان يقسم العنايم بين المسلمين .
- أجرم المعاهدات وعقد الأحلاف .
- أرسل الرسائل إلى الملوك .
- ول ولة و القضاة .
- شاور المسلمين .

وجه المسلمين بتوجيهات سياسية كبيرة ، فإذا يكون هذا كله إن لم يكن بناء دولة ؟ إن فصل الدين عن الدولة في الإسلام خطير جداً ، ولا يقبله أي إنسان ثمة ولادة ولا قضاة ولا دولة الخ ... ولعل ظلام تلك الحيرة التي صادفتك قد استحال نوراً ... وصارت النار عليك بردأ وسلاماً) (١) .

و الواقع أن الرسول ﷺ بدأ نشاطه السياسي منذ هاجر إلى المدينة :

- فقد بني المسجد ليكون مركز حكومته الجديدة .
- آخي بين المهاجرين والأنصار يقضى على الفوارق التي قد تفرق بين أبناء المجتمع الإسلامي الواحد .
- كتب وثيقة تعدد بحق دستوراً ، وبهذا الصدد يقول « مونتغمري وات » : (في المصدر الرئيسي القديم لسيرة محمد (٢) (بمعزل عن القرآن) هناك وثيقة بصح أن تسمى « دستور المدينة » ، (٣) .
- وادع اليهود ، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم .
- قاد الغزوات .

(١) على عبد الرزاق « الإسلام وأصول الحكم » ، بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام ونقد وتعليق الدكتور محمد حق ، من منشورات مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٨ ، ص ، ١٥٦ .

(٢) هذا المصدر هو سيرة ابن هشام .

(٤) أبو الحسن على الحسن الندوى - مَا خسر العالم بانحطاط المسلمين دار الكتاب العربي ،

(٣) مونتغمري وات ... الفكر السياسي الإسلامي ، ترجمة صبيحي حيد ، دار الحديثة بيروت ١٩٧١ ، ص ، ١١ .

بيروت ، ط ٦ - ١٩٦٥ ، ص ، ٨١ عن البداية وال نهاية لابن كثير الدمشقي .

{ ٢٩ }

نحو وعي صحي أفضل

الدكتور غريب جمة

الذى ينظر إلى عالمنا الاسلامى شرقاً و غرباً يرى بشائر صحوة إسلامية تمثل في المطالبة بتطبيق منهج الله في مختلف مجالات الحياة ، ولكن كانت هذه الصحوة أشبه يقظة الدائم الذى لا يزال في فراشه ١١١ فانا نسأل الله أن تبلغ غايتها -ى لا تكون

فتنة و يكون الدين كله لله .

وكم تزد أن تكون صحوة المسلمين مقرونة بوعي صحي شامل وأن يكون مع النهضة الاسلامية نهضة صحية عامة تشمل صحة النفس و صحة الجسم ! ، وأساس صحة النفس هو سلامة العقيدة منها حاول المغالطون أن يجعلوا بين الإنسان وبين الإيمان بخالقه . و قد يعجب البعض إذا تمنينا وعياً ونهضة بصحة الجسم يد أن ذلك العجب سوف يزول بعد الفراغ من قراءة هذا المقال المتواضع . ذلك أن نعمة الصحة من أجل نعم الله على عباده ، ولا يعرف حلاوتها إلا من ذاق مرارة الأوجاع والأسقام إلا من حيث الاتساع .

أما عن آثرها على نشاط الأفراد و المجتمعات فحدث ولا حرج . بل لقد كانت جسامته البدن إحدى مؤهلات « طالوت » لزعامة وقيادة الملاطية التي تفوق دون أدنى شك حكمة شيخ القبيلة بين أفراد قبيلته ، وبشهادة الشورى في إطار نصوص القرآن و السنة تعددى الشورى القبيلة التي كانت مقصورة على الأعيان و زعماء العصبيات .

(تأمل كلمة نحن) أولى بالملك منه و ليس لديه مال كثير ؟ ! .

يقول الحق تبارك و تعالى :

« وقال لهم نبیهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا إن يكون له الملك

{ ٢١ }

عصبية وليس هنا من مات على حصبية) (١) ، ويقول : (دعوها إنها منتفة) (٢) . المبادئ الإسلامية تتنافى مع التمييز العنصري وتسوى بين الناس ، وتدعوا إلى التشاور و الأخوة و الوحدة و السلام .

لقد عرف المسلمون في عهد الرسول ﷺ أحكام الإعلان و التبلیغ ، والبذ و المعاهدة ، والصلح و الذمة ، والمدنة و المودعة ، والسفارة والواسطة ، وعرفوا لكل حكم من الأحكام واجباته على المسلم في حالي إبراهيم ونقضه ، وهرفو واجبات الإمام و الرعبة مفصلة مرددة ، كأنها صيغ العقود التي يتحرى فيها الموقوفون غایة التوكيد و التقييد ، منها للاغلال و الأسلام ، كما جاء في أول عهد بين الإسلام و المشركين (٣) .

و هذه الأمور وحدها تكفي لدحض ما ذهب إليه « وات » إلا أنها منفصلة عن المبادئ السياسية التي قلبت النبي السياسية للجتماع الجامل رأساً على عقب و التي سجد فيها مزيداً من التنفيذ لوجهة نظر (وات) المخطفة .

ونفس هذه المزاعم التي رددها (وات) يردددها (لويس غارديه) الذي يشبه تحكيم الرسول بين المؤمنين بتحكيم شيخ القبيلة بين أفراد قبيلته ، وبشهادة الشورى في المجتمع الإسلامي بالshorey التي كانت موجودة بين أفراد القبيلة ، و لا تختلف عنها إلا من حيث الاتساع .

و الواقع أن تحكيم الرسول ﷺ هو تحكيم يستند إلى الوسي ، وإلى العدالة الآلية التي تفوق دون أدنى شك حكمة شيخ القبائل ، والshorey الإسلامية التي تدور في إطار نصوص القرآن و السنة تعددى الشورى القبيلة التي كانت مقصورة على الأعيان و زعماء العصبيات .

(يتبع)

(١) رواه أبو داود . (٢) رواه البخاري .

(٣) عباس محمود العقاد - حقائق الإسلام و أباطيل خصومه ، المكتبة المصرية ،

ميدوت صبا ص ٢٤٨ .

ليست هي العافية التي تحيل أصحابها إلى قطبيع من الشيران البشرية، يصارع بعضه ببعض
بصراه ، او يسد اللثفات إلى وجهه في قوة و عنف .

نعم : لكن رياضة ، ولكن في ظل الاسلام و التحل بالخلق الكريم ، ولكن
عافية ، ولكن مع استخدامها في طاعة الله و نفع المجتمع .

ثانياً : في مجال الصحة البدنية و النظافة الشخصية :

(١) يقول الحق تبارك و تعالى :

و كلوا و اشربوا ولا تسرفووا إنما لا يجب المسرفين ، (الأهاف الآية ٣١) .
وتوجهنا هذه الآية الكريمة إلى الاعتدال في المأكل والمشرب ، حتى لا نصاب
ببعض عيوبها الكثيرة ، وليس هنا مجال تفصيلها ، وقد دعا قال الحارث بن كلدة الطيب
العربي المشهور : (المعدة بيت الداء و الحبة رأس الدواء) ، وليس ذلك القول
حديثاً نبوياً كما يجري على ألسنة الكثيرين .

حق لا يظن أناساً أن ترافق الأوساخ على البدن عبادة ١١١ وأن الضف و الماء
زهادة ١١١ وأن قبح المظهر قربى إلى الله ١ وأن تعذيب البدن بالإجهاد بباب إلى
محنة الله ١ . . . إلى آخر هذه المفاهيم السقيمة و البعيدة عن روح الاسلام .

أولاً مدح الصحة و العافية :
يقول رسول الله ﷺ : « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ، وفي

كل خير . . لاحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز » .

رواه أحد و مسلم و ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ويقول أيضاً :

« يا أيها الناس إإن الناس لم يعطوا ، في هذه الدنيا ، خيراً من اليقين و المعافاة ١
فلوهمما أقه عز وجل ، (أخرجه الإمام أحمد في مسنده بasonad ج ٦) .

عل أن العافية التي يمتنعها رسول الله ﷺ و يوصى بسوانها الله عز و جل
(٣٣)

علينا و نحن أحق بالملك منه ولم يتوت سمعة من المال قال إنما أصلفه عليكم و زاده
بساطة في العلم والجسم و أقه بقوتي ملكه من يشاء و أقه واسع علم ، (البقرة الآية ٢٤٧) .

كما كانت قوة البدن إحدى مؤهلات موسى عليه السلام ، لاختباره أجيراً عند
الرجل الصالح الذي زوجه إحدى ابنته يقول عز وجل :

« قالت إحداها يا أبا استأجره إن خيراً من استأجرت القوى الأمين ،
(الفصل الآية ٢٦) .

من أجل ذلك كانت عناية الاسلام بالصحة و العافية و بأسباب الحفاظ عليها
و الوقاية من الامراض و الأوبئة و الاهتمام بالنظافة .

و إليك أيها القارئ الكريم باقة من توجيهات الاسلام في ذلك المجال ، لترى
بصفة الذي لا يدان به سبق ، و حظمه التي لا تبلغها عظمة ١ . وعسى أن تكون
هذه التوجيهات هادئاً إلى مزيد من الرعاية الصحيحة ، وباعثاً على المزيد من النظافة ؛
زهادة الأوساخ على البدن عبادة ١١١ وأن الضف و الماء
محنة الله ١ . . . إلى آخر هذه المفاهيم السقيمة و البعيدة عن روح الاسلام .

أولاً مدح الصحة و العافية :

يقول رسول الله ﷺ : « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ، وفي

كل خير . . لاحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز » .

رواه أحد و مسلم و ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ويقول أيضاً :

« يا أيها الناس إإن الناس لم يعطوا ، في هذه الدنيا ، خيراً من اليقين و المعافاة ١
فلوهمما أقه عز و جل ، (أخرجه الإمام أحمد في مسنده بasonad ج ٦) .

عل أن العافية التي يمتنعها رسول الله ﷺ و يوصى بسوانها الله عز و جل
(٣٣)

السادات الالاف تسبق أظافرهن أيديهن إلى الطعام بصورة شير التقرز وتفقد الانسان شيئاً للطعام .

و الحنان الذى يؤدى إهماله فى الذكرى إلى الأضرار الآتية :

- ١- التهاب الأعضاء التناسلية .
- ٢- التصاق القلفة و تقطع البول .
- ٣- سرطان الأعضاء التناسلية الذى ينتقل إلى الزوجة .

و حلق العانة الذى يؤدى إهماله ، و كذلك تف الابط إلى الاصابة بنوع معين من « القمل » يسمى قتل العانة ، و قد ينتقل بالمس المباشر أو من المراجض الملوثة و يحدث لدغه حكة شديدة تزداد بالمرش ، و حلق الشعر يؤدى إلى إزالتها فوراً دون علاج ، و معروف أن القمل ينقل ميكروبات بعض الامراض و على رأسها « التيفوس » .

يقول رسول الله ﷺ :

« خمس من الفطرة : الاستحداد (حلق العانة) و الحنان و قص الشارب ، و تف الابط ، و تقليل الأظافر ، (أخرجه أحمد والخاري ومسلم والترمذى) .
٢) غسل اليدين قبل و بعد تناول الطعام :

يقول الرسول ﷺ :

« بركة الطعام : الوضوء قبله و بعده » (رواه أحمد والترمذى) .
ولا شك أن غسل اليدين قبل الطعام يمنع كثيراً من الميكروبات من الوصول إلى القناة المضدية ، مثل ميكروبات التيفود ، كما أن غسلها بعده من ضروريات النظافة ، كما أمر الرسول أن يكون تناول الطعام باليد المني ، إذ أن اليسرى قد تكون ملوثة باليكروبات أو بويضات بعض الطفيلييات نتيجة ملامستها للشرج وقت الاسترجاء .

يقول الرسول ﷺ : « يا غلام : سُمِّ افه وكل يمينك » (رواه البخاري ومسلم) .

{ ٢٥ }

عز وجل وحده ، حينما يقف الانسان بين يديه للصلة حتى يتحقق له الحشو المطلوب ، فإن له فوائد طيبة كثيرة كنظافة الفم بالمضمضة المتكررة التي تؤدي إلى الوقاية من أمراض اللثة والأسنان ، والاستنشاق الذي يعتبر من أهم أسباب الوقاية من الاصابة بالزكام خصوصاً إذا كان الماء بارداً .

اما غسل الوجه و البدن و مسح الأذنين ، فهو من أهم أسباب وقايتها من الامراض الجلدية حيث إن كثيراً من الميكروبات وطفيليات بعض الديدان والفطريات يصيب الانسان عن طريق التسللات الموجودة بالجلد الناتجة عن « المرش » بسبب عدم النظافة . . ولم يجد ديناً أو مذهباً يبدأ عبادته بطهارة - اللهم إلا الاسلام . . و إذا كانت الصلاة لا تصح إلا بوضوء ، فانها أيضاً لا تصح إلا في ثوب و مكان ظاهر ؟ لذلك كان رسول الله ﷺ يستأذن إذا رأى مسلماً لا ينطوف ثوبه و يقول لأصحابه :

« أما يجدد هذا ما يغسل به ثوبه » (رواه أبو داود) .

فعلى الذين يذهبون إلى المساجد لحضور الجمع و الجماعات إلا ينسوا ذلك التوجيه النبوى الكريم ، ولا توجيه القرآن وهو : « يا أباها الذين آمنوا خذوا زيتكم عند كل مسجد » ، (الأعراف الآية ٣١) .

و لم يكتفى الاسلام بالوضوء و نظافة الثوب والمكان فقط ، بل لقد اختص رسول الله ﷺ بعض أجزاء الجسم بتوجيهات خاصة كما يلي :

٢) خمس من الفطرة :

يوصى الاسلام أبناءه بخمسة امور يميل إليها الذوق السليم وهي: تقليل الأظافر التي تعتبر خاتمة للميكروبات منها بالغ الانسان في نظافتها ، لأنها لا يرى شيئاً بعينه المجردة ، ولو كان في إطالئها خيراً لمحن الرسول ﷺ بذلك ، فهل يفهم ذلك { ٣٤ }

و عن حذيفة بنيمان رضي الله عنه ، قال :

«كان النبي ﷺ إذا قام من الليل ، يشوش فاه بالسواك» (أخرجه البخاري و مسلم) و في رواية عنه : «كنا نؤمر بالسواك إذا قلنا من الليل : نشوش أفواهنا بالسواك». (أخرجه النسائي)

(٧) نظافة الشعر :

انتشرت في هذه الأيام ظاهرة إطالة الشعر بصورة منفرة بين الشباب المسلم كا يفعل «الختافس» ، ظناً منهم أن ذلك من مظاهر المدينة ! و ما علموا أن ذلك من مظاهر التأخر و البدائية ، لأن إنسان الكهوف كان أطول منهم شرعاً وأكثر منهم تخللاً و تفلتاً من القيود و القبود ، و مع ذلك فهو بدان قدر ١٠٠ و قد يغيب عن أذهان الكثيرين منهم أن «الختفسة» ، فكرة يهودية نشأت حينما عرض على شاشات السينما في أمريكا فيلم «اليهودي الشاه» ، و ظهر فيه الممثلون اليهود ومن شبابهم في أهدافهم بشعورهم الطويلة وغير ذلك من مظاهر الخففة الشاذة التي قلدتها الشابة هناك دون وعي ! . ثم سرت المدوى إلى عالمنا الإسلامي ! . فهل يقبل و تكاثر الميكروبات ، فتبعد منه رائحة كريهة تؤدي للمخالطين للإنسان ، خصوصاً من المعروف أن إهمال نظافة الفم والأسنان يؤدي إلى تخمر فضلات الطعام

إذا كان في مسجد ، كما أنها تؤدي إلى التهاب اللثة واللوزتين ، لذلك يوصي الرسول الكريم باستعمال السواك بصفة عامة . و قد ثبت طيباً أنه يقوى الله و يطيب رائحة الفم . يقول الرسول ﷺ :

«السواك مطرحة للفم ، مرضاة للرب» .

«أخرجه النسائي و ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ، ثم يحدد و ما أحسن توجيه الرسول الكريم ﷺ ، الا و هو :

«من كان له شعر فليكرمه» ، (رواه أبو داود) .

أى يتعهد بنظافته و تمسيحه و دعائه .

وعن عطاء بن يسار رحمه الله قال : كان رسول الله ﷺ في المسجد ، فدخل

عليه رجل ثائر الرأس و اللحمة .

(٤) غسل اليدين بعد اليقظة من النوم :

لا شك أن النائم لا يدرى ما حوله ، ولا يتحكم في حرارة يديه ، وقد يضرها على مرض في بشرته أو يمس بها عورته ۱ . لذلك كان من السنة أن يغسلها حينما يستيقظ من نومه .

و يقول الرسول ﷺ : «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغرس يده في الآباء حتى يغسلها ثلاثاً، فإنه لا يدرى: أين باتت يده؟» (رواية البخاري و مسلم) .

(٥) غسل اليدين بعد قضاء الحاجة :

يقول رسول الله ﷺ : «من مس ذكره ، فليتوضاً» . (أخرجه الترمذى عن بصرة بنحى صفوان رضي الله عنها) .

(٦) نظافة الفم و الأسنان :

من المعروف أن إهمال نظافة الفم والأسنان يؤدي إلى تخمر فضلات الطعام و تكاثر الميكروبات ، فتبعد منه رائحة كريهة تؤدي للمخالطين للإنسان ، خصوصاً إذا كان في مسجد ، كما أنها تؤدي إلى التهاب اللثة واللوزتين ، لذلك يوصي الرسول الكريم باستعمال السواك بصفة عامة .

و قد ثبت طيباً أنه يقوى الله و يطيب رائحة الفم .

«السواك مطرحة للفم ، مرضاة للرب» .

«أخرجه النسائي و ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ، ثم يحدد مناسبات خاصة لاستعماله مثل القيام للصلوة ، والاستيقاظ من النوم ، حيث يقول عليه الصلاة و السلام :

«لو لا أشق على أمي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة» . (رواية أحمد في مسنده و الدارمي في سنته) .

فأشار إله رسول الله ﷺ أن : أخرج . . كأنه يعني إصلاح شعر رأسه و لحيته ، ففعل ثم رجع قال ﷺ :
• أليس هذا خيراً من أن ياتي أحدهم ثار الرأس كأنه شيطان ؟ . .
(رواه مالك)

فهل يقبل أبناء المسلمين أن يكونوا أشباء شياطين ؟
(٨) نظافة السبيلين :

لا شك أن المواد المخرجة من السبيلين كالبول والبراز من أقذر وأخطر المواد ، ولذلك كانت نظافتها أمراً حنيناً ، على أن لا يكون ذلك بتكرار استعمال الورق الخفيف ، لأنه قد يؤدي إلى التهابات موضعية ، ولا باستعمال الروث أو العظام ، وإنما يكون بالاستجمار والاستجاجة ، و الاستجمار يكون بثلاثة أحجار ، يقول الرسول ﷺ :

إذا ذهب أحدهم إلى الغاط فلبذب و معه ثلاثة أحجار يستطيع بهن فانها تجزئ عنه ، (أخرجه أبو داود و النسائي) .

و قد يقول قائل : كيف يؤدي استعمال الورق إلى التهابات ، و لا يؤدي استعمال الأحجار إلى ذلك . و أحب أن أقول : إن الاتهابات التي تنتج عن الورق قد يكون سببها المعاملة الكيميائية التي يعامل بها الورق ، أما الأحجار فانها تتعدد وتتنوع ؟ فنها الأمثل و منها كذا . . إلخ .

و هذا الكلام للناس جيماً ، سواء منهم من يسكن المدينة و من يسكن الباادية أو القرى ، و على ذلك فلكل وسيلة الميسرة له .

أما الاستجاجة وهو الغسل بالماء فهو أكل للنظافة ، ولا بد من غسل البد التي استعملت في الاستجاجة كما أشرنا سابقاً .

عن معاذة بنت عبد الله العدوية : أن عائشة رضي الله عنها قالت :
(مرن أزواجهن أن يستطيعوا بالماء فأن استجحهم منه ، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله) (أخرجه الترمذى و النسائي)

حاجة العصر ، و مسئولية الأمة

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوى

[محاضرة القبيت في قاعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ليلة الاثنين في ٢٣ / من ربيع الآخر سنة ١٤٠٥هـ ، وقد خصت القاعة على سمعها بالمستمعين من طلبة الجامعة وأساتذتها ومن حضر هذا الاحتفال العظيم من المدينة المنورة من العلماء والمشففين . نقلت المحاضرة من الشريط وتصفحها صاحب المحاضرة وتناولها

بعضى من التقييم والتهديب وزيادة يسيرة ، وعرض النصوص الواردة في الكلمة المرتجلة بلفظها معتمداً على المراجع الحديثة والتاريخية .

و كان العنوان : حاجة العصر ، و فريضة الداعي المسلم ، و كيف استعمال الأحجار إلى ذلك . و أحب أن أقول : إن الاتهابات التي تنتج عن الورق قد يكون سببها المعاملة الكيميائية التي يعامل بها الورق ، أما الأحجار فانها تتعدد وتتنوع ؟ فنها الأمثل و منها كذا . . إلخ .

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله ﷺ :
أيها السادة إخوانى الأعزاء و الجيل الإسلامي المرتقب من شباب الجامعة ، يطيب لي و يحلو أن أتحدث إليكم حديث أخ لأخوه و لزملائه في مجال واحد من العقيدة و الفكرة ، و الدعوة الإسلامية ، ويزيدني سروراً و شرفاً أن يكون حديثي هذا في هذه الأمسية المباركة ، و في ظلال مهد الدعوة الإسلامية ، و الانطلاق من معاذه بنت عبد الله العدوية : أن عائشة رضي الله عنها قالت :

و كذلك عن أبي بكر رضي الله عنه ، قال خطبنا النبي ﷺ يوم النحر ، فقال أندرون أى يوم هذا ؟ ، قلنا أقه ورسوله أعلم ! فسكت حتى ظننا أنه ميسّمه بغير اسمه ، فقال أليس يوم النحر ، قلنا بلى ، إلى آخر الحديث (٢) ما هي تلك الجماعة ، وأى داع كان للحديث عند هذه الجماعة التي هي معلومة للجمع ؟ . إخوان ! هذه الجماعة التي قلت إنها أكبر خطرًا وأكثر ضررًا وأعوق أثرًا من هذه الجماعة الغذائية التي تكتسح مساحة كبيرة من إفريقيا المسلمة وغير المسلمة ، هي جماعة الإيمان ، هي جماعة المداية ، هي جماعة الأخلاص والضمير ، هذه الجماعة العالمية التي تحتاج البشرية الآن ، ولكن لا يتباه لها أحد ولا تقوم لها القيامة كما قالت القبامة - إن صح التعبير - للجماعة الأولى ، فكثير الحديث عنها في الصحف وفي النوادي وفي التعليقات ، وتواردت الشحنات الغذائية ، و النجادات الطبية وأعوق أثراً ، ٢٨٠٠٠ من المرات ، من هذه الجماعة الإيمانية التي تغزو الآن المجتمعات والماليّة إلى هذه المناطق المنكوبة ، إن الجماعة الإيمانية التي تغزو العالم هي جماعة تكتسح العالم بأسره ، و تغزو الشعوب ، و تغزو المجتمع المعاصر من زمان ، ولا يتباه لها أحد ولا يشمّر منه الضمير الإنساني ولا يستيقظ له الوعي البشري ولا يتباه لها المعنيون بقضايا البشرية ، المعنيون بحاضر الإنسانية ومستقبلها . ما هي تلك الجماعة إليها إخوان ؟ ! لأنني أريد أن أثير فيكم التساؤل ، فإن التساؤل هو منطلق الفكر الصحيح ، وكان ذلك من آداب الرسول ﷺ و سنته في التعليم والتربيّة ، فقال لصحابته رضي الله عنهم : إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنما مثل المسلم ، خدواني ما هي ؟ فاستحيت ، ثم قالوا : حدثنا يارسول الله ما هي ؟ قال هي النخلة (١) .

قال عبد الله بن عمر : فرقع الناس في شجر البوادي وقع في نفسى أنها هي النخلة .

الناس يعيشون قبل الإسلام ، ولكن لا عين تدمع ، ولا قلب يتألم .

(٢) رواه البخاري في صحيحه .

إخوان ! تسعون بالجماعة التي تحتاج الآن و تكتسح مساحة واسعة من إفريقيا ، تكتسح إثيوبيا ، و نيجيريا ، و هوريانا ، و قطعة ، من السودان ، تسعون بهذه الجماعة التي يذهب ضحيتها ملايين من البشر ، وقد أصبح الموضوع الشغل الشاغل للصحافة العالمية ، والمقيم المقدم للجتماع الإنساني المعاصر ، وقد هز الشعور الإنساني واستفرج العاطفة الإنسانية النبيلة ، و طاكل حق في ذلك ، و إتنا نسمع صداحاً في كل بقعة من بقاع العالم .

قد تستغربون أن يكون مدح حديث اليوم الذي هو خاص بموضوع « حاجة العصر و فريضة الداعي المسلم وكيف يحسن القيام بها و يؤثر في الجيل المسلم الجديد » ، ما صلة هذه الجماعة المشئومة و النكبة العالمية بهذا الموضوع الوقور المادف ، أريد أن ألفت ظرك إلى جماعة أخرى ، إلى جماعة هي أكثر خطرًا وأكبر ضررًا وأدلة من المرات ، من هذه الجماعة الغذائية ، هل تصدقونني إذا قلت لكم : إن هناك جماعة تكتسح العالم بأسره ، و تغزو الشعوب ، و تغزو المجتمع المعاصر الوعي البشري ولا يتباه لها المعنيون بقضايا البشرية ، المعنيون بحاضر الإنسانية ومستقبلها . ما هي تلك الجماعة إليها إخوان ؟ ! لأنني أريد أن أثير فيكم التساؤل ، فإن التعليم و التربية ، فقال لصحابته رضي الله عنهم :

قال عبد الله بن عمر : فرقع الناس في شجر البوادي وقع في نفسى أنها هي النخلة .

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم .

الصحابية رضي الله عنهم ، كان يعثُّمُونَ إِلَيْهِنَّ وَيَعْلَمُونَ فَيَقُولُونَ: إِنَّمَا يَعْثُّمُ مُبَرِّئِينَ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ مُصْرِّئِينَ ۖ

خرجت كنائب اليمان من مدينة الرسول - من هذه المدينة التي يكرمنا الله تبارك و تتعالى و له الحمد و الشكر بالارتفاع في رحابها - من هنا خرجت كنائب اليمان و انطلق جيش الانقاذ وجيش الاسعاف، ليس جيش الاسعاف الطبي، ولا جيش الاسعاف الغذائي ، جيش الاسعاف اليماني ، فكانت مفاجأة من أكبر المفاجئات التاريخية التي سجلها التاريخ ، خرج العرب بثباتهم المرتفع و بنعاظم المخصوصة، و بفرزهم المتقطع ، و بسيوفهم البالية الأجهان ، من غير مدد يصل إليهم ، ومن غير قرينتها ، وبالاصل مع منافستها الامبراطورية الرومانية البيزنطية ، فأرسل قائد القواد جيش ليران «رسم» ، الذي كان يلي الامبراطور كسرى في المنزلة والنفوذ والأهمية إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قائد الجيش الإسلامي ، و طلب منه أن يرسل إليه هل كان نهوض المسلمين ، يحملون أعباء الدعوة ويحملون رسالة الإسلامية ويخرجنون من جزيرتهم يدعون إلى الله «بعثة» ؟ ، ولكن القرآن يؤثر هذا التعبير فيقول: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْمَنُونَ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ حَشَاشٌ طَفْلِيَّةٌ، وَلَا نَابِةٌ مِنَ التَّوَابَتِ وَلَا إِشْجَارٌ فِي الْغَابَةِ تَقْبَتْ بِنَفْسِهَا وَتَسْمُو وَيَوْمَتْ، لَا، إِنَّمَا كَانَ إِخْرَاجًا مِنَ اللَّهِ فَيَقُولُ: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ، إِنَّهُ أَمَّةً مَا خَرَجْتَ إِنَّمَا أَخْرَجْتَ، وَشَتَّانَ بَيْنَ الْخُرُوجِ وَبَيْنَ الْإِخْرَاجِ، وَقَدْ أَثْرَ الرَّسُولَ مُبَرِّئَهُ هَذَا التَّعْبِيرُ فَقَالَ بِجَمَاعَةٍ مِنَ

(١) سورة الروم ، الآية ٤١ .
واختار سعد بن أبي وقاص رجلاً من المسلمين ، ولم يدقق في الاختيار ، وهذا

قد كانت مجاعة أشد من هذه المجاعة قبلبعثة النبوة و بعدها ، إلى فترة زمنية قصيرة ، و قد صورها القرآن بمحازه فقال : « ظهر الفساد في البر و البر بما كسبت أيدي الناس لذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » (١) كان الظلم مطبقاً على البشرية كلها ، كان الناس يعيشون عيش الدواب عيش البقر بل عيش المير و عيش القرود (اسمحوا لي) و أحسنهم حالاً من كان يعيش عيش الطيور ، ولكن طيور في أقصاص ذهبية وفي سعة من حب و ماء ، يقول القرآن : « إن م لا الأفاعم بل م أضل » .

هذا بعث الله محمدًا عليه رحمة للإنسانية كلها ، لا رحمة للعرب الذين تختلفوا عن رب الحياة ، و الذين انعزلوا عن العالم وعن مصائر الأمم ، وعن كل ما يؤثر في مسيرة الحياة ، بعث الله محمدًا عليه ، وبعث معه أمة بأسرها فكانت بعثة مقرونة لم تكن بعثة موحدة ، يبعث النبي ويدعو إلى الله ويفارق الحياة ولا يختلف من يخلفه في دعوته ، إن الله سبحانه و تعالى لما قرر و قدر أن تكون هذه البعثة هي البعثة الأخيرة الخالدة ، والبعثة العالمية ، بعث معه أمة بأسرها ، وقد يستغرب بعض الأخوان هل كان نهوض المسلمين ، يحملون أعباء الدعوة ويحملون رسالة الإسلامية ويخرجنون من جزيرتهم يدعون إلى الله « بعثة» ؟ ، ولكن القرآن يؤثر هذا التعبير فيقول: « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْمَنُونَ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ حَشَاشٌ طَفْلِيَّةٌ، وَلَا نَابِةٌ مِنَ التَّوَابَتِ وَلَا إِشْجَارٌ فِي الْغَابَةِ تَقْبَتْ بِنَفْسِهَا وَتَسْمُو وَيَوْمَتْ، لَا، إِنَّمَا كَانَ إِخْرَاجًا مِنَ اللَّهِ فَيَقُولُ: « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ، إِنَّهُ أَمَّةً مَا خَرَجْتَ إِنَّمَا أَخْرَجْتَ، وَشَتَّانَ بَيْنَ الْخُرُوجِ وَبَيْنَ الْإِخْرَاجِ، وَقَدْ أَثْرَ الرَّسُولَ مُبَرِّئَهُ هَذَا التَّعْبِيرُ فَقَالَ بِجَمَاعَةٍ مِنَ

و من ترتيته ، و يدل هذا على أنهم كانوا مؤمنين بأنهم مبتغون ، وقد كان ربي بن عاص دقيقاً في اختياره لكلمة الابتعاث ، لم يقل بعثنا ، لأن رسم و جسامه لا يستطيعون أن يفهموا البعثة في معناها الصحيح ، إنهم كانوا يحملون الفرق بين النبوة و الدعوة ، فلم يختبر كلة بعثنا لأن هذا قد توهمهم . و لما كان سيدنا ربي بن عاص صاحب عقيدة واضحة راسخة في التوحيد يعرف أن الهدایة من الله والقلوب بيد الله ، قال : « الله أبتعثنا لنخرج من شاء » لم يقل لنخرج من شئنا ، لو كان الأمر بأيدينا لكانا أخرجنا نفوسنا من قبل ، ولكنها إرادة الله وقدرته ، فكروا يا إخوان ! وفيكم العلماء والأساتذة الكبار ، و فيكم الأذكياء ، و فيكم المثقفون ، كلمات كلها مرتجلة ، كلمات حاضرة بدائية ، و لكن إذا أراد الإنسان أن يغير كلمة لا يستطيع ، كأنها إلحاد من الله « الله أبتعثنا لنخرج من شاء » الله أكبر ، من يقول هذا ، هل كان يستطيع أن يقول ذلك يهودي ، هل كان يستطيع أن يقول ذلك مسيحي ، بجوسى ، هندوسى ؟ أبداً ! « من شاء » ليس هذا إلينا ، ليس هذا في إمكاننا ، وكانوا يقولون عند الملوك و الأمراء و القواد الذين كانوا يستطوفونهم « كنا قوماً أهل و الخيرة ، لو كان شئ يجيئ بنا لكننا قد جئنا قبل هذا بزمان ، فالوضع الاقتصادي في الجزيرة هو الوضع من قرون ، و حاجاتنا إلى الطعام و السكر و الدين العيش ، هي الحاجات الدائمة ، و كنا نعرف عن طريق الجوار و القوافل التجارية والجوابين ، ما نعم به فارس من الخيرات و الثروات ، و لكن ما أراد الله ذلك ، وما كانت عندي رسالة ، إنما هو الابتعاث ، « الله أبتعثنا » وهنا تلتقي القوة اليمانية مع القدرة البيانية ، وإذا تلتقي القوة اليمانية مع القدرة البيانية ، فهناك التيار الكبير بأفق الذي يسرى في العقول و الأجسام ، كلمات دقيقة حقيقة كأنها قد فكر فيها طويلاً و تناولها المحررون المنتحرون بالتفصي و التحرير ، وهنا اليمان يتكلم ، ليست العربية الفصحى هي التي كانت تتكلم ، و هي الحكمة اليمانية التي انتقلت إليهم من مجالس الرسول عليه السلام .

إنه قال : « الله أبتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده »

(١) من كلام جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله عليه السلام في مجلس النجاشي ملك الحبشة (سيرة ابن هشام ، ق / ١ ، ص / ٣٤)

كان شأن المسلمين ، يسعى بذمتهم أداتهم ، أصبحوا على مستوى حال من الاعتزاز بالدين والاعتماد على الشخصية الإسلامية وفهم الدين الفهم الصحيح ، و كانوا بعيدين عما يعبر عنه في علم النفس الحديث بمركب النقص ، و بالعكس إذا طلب ذلك من حكومة منظمة تحثار أقدر رجل على التفاه ، رجل « دبلوماسي » ماهرأ قادرأ على الإجابة على الأسئلة التي متقدم إليه ، لكنه لم يترى ولم يستقر طويلاً ، إنما طلب أحد الأعراب المسلمين اسمه ربي بن عاص رضي الله عنه ، قال له اذهب إلى رسم و تكلم به ، ذهب ربي إلى رسم ، وقد زبن رسم مجلسه بأكثر ما يمكن أن يزيشه ملك من الملوك حتى يرهب هذا الرجل ويفعل على أمره ، ويفعل مشدوهاً حائزأ ، تقدم سيدنا ربي بن عاص في ثقة و اعزاز ، عنده معنوية من أقوى المعنويات ، قال له رسم : ما الذي جاء بكم ؟ تصوروا يا إخوان ! إذا وجه هذا السؤال إلى أي أستاذ جامعي - و لا مؤاخذه - و إلى أي عمل دولة يحتاج إلى تهيئة الكلام سابقاً ، و تحريره و تدقيقه حاضراً ، و لكنه قال من غير تردد ، « الله أبتعثنا » إنها الضربة الأولى الموجعة ، ليس الأمر يقاد قواد جيش إيران ، أمر المجنى بالارادة و الخيرة ، لو كان شئ يجيئ بنا لكننا قد جئنا قبل هذا بزمان ، فالوضع الاقتصادي في الجزيرة هو الوضع من قرون ، و حاجاتنا إلى الطعام و السكر و الدين العيش ، هي الحاجات الدائمة ، و كنا نعرف عن طريق الجوار و القوافل التجارية والجوابين ، ما نعم به فارس من الخيرات و الثروات ، و لكن ما أراد الله ذلك ، وما كانت عندي رسالة ، إنما هو الابتعاث ، « الله أبتعثنا » وهنا تلتقي القوة اليمانية مع القدرة البيانية ، وإذا تلتقي القوة اليمانية مع القدرة البيانية ، فهناك التيار الكبير بأفق الذي يسرى في العقول و الأجسام ، كلمات دقيقة حقيقة كأنها قد فكر فيها طويلاً و تناولها المحررون المنتحرون بالتفصي و التحرير ، وهنا اليمان يتكلم ، ليست العربية الفصحى هي التي كانت تتكلم ، و هي الحكمة اليمانية التي انتقلت إليهم من مجالس الرسول عليه السلام .

يحسرون الكافور ملحاً ، ولما جربوا أولاً الحبز الرقاق حسبوها مناديل يجعلوا يمسحون بها أيديهم (١) ، إن أمة كانت تحسب الرقاق مناديل ، وكانت تحسب الكافور ملحاً ، كان لها الحق أن تقول لرستم ، جئنا لنجربك يا رستم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا ، فإذا سأله رستم لا تستحي أيها العربي البدوي أن تقول إنك تخرجنا من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا ، هل أنت في سعة و نحن في ضيق ؟ ، الا ترى إلى مجلسنا كيف زين بالزرابي المنشورة ، والهتارق الغالية ، واليواقيت والجواهر التي تعشى لها العيون ، هل نحن في ضيق وأنت في سعة ، ولكن الثقة التي وهبها الإسلام ، الثقة التي فقدناها إليها الإخوان ! يذهب هنا شاب - و ساحر - قد نشأ هنا ، أو في قطر إسلامي متحضر في المدينة الراقيّة ، و الحياة الرخيصة ، يدخل في بلد أوربي فباختذه المجب ، و تبهره الحضارة ، ويستهين بأمه و بلاده ، ولكن هؤلاء الأعراب الذين دخلوا في حدود إيران لم يصل لعابهم أبداً ، ولم يأخذهم سحر الحضارة التي رقت حواشيهما ، إنكم إذا قرأتם أخبار « فرش بهار » (بساط الربيع) في تاريخ الطبرى و تفاصيله تصورتموه حكاية من حكايات الجن ، كانوا يسيطونه في أيام الخريف ليستحضروا ذكريات الربيع ويستنشقوا أريح الربيع ، إلى هنا بلغت مدينة الفرس .

وتصوروا إخوانى ! أن كسرى يزدجرد آخر ملوك فرس لما خرج من المدائن المنعمون من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا ، فأى ضيق يا ترى كان فيه الفرس ، وأى سعة كان فيها العرب ؟ هل كان العرب في سعة ، وهل كان الفرس في ضيق ؟ ، لولا أن التاريخ الأمين حدثنا بذلك ، لما صدقنا أن بدويًا اجترأ أن يقول ذلك لقائد قوات فارس العظيمة و وزير الدفاع في إمبراطورية كسرى ، إنها معجزة من معجزات الحداية الالهية ، و الرسالات السماوية ، والصحبة النبوية ، كان المتوقع المعقول أن

(١) راجع تاريخ الطبرى ، و البداية و النهاية .
(٢) ليراجع كتاب « إيران في عهد الساسان » لمؤلفه الأولي صاحب الاختصاص في تاريخ إيران (Arthur Christeyseiy) الدنماركي ، و تاريخ إيران بالعربية لشاهين مكاريوس طبع القاهرة .

ما أوسع هذه الكلمة و ما أجمعها و ما أبلغها ؟ ، يتكلم العرب المسلمون الأعرابي أمام رجل قد استبعد الناس ، و أمام أمة قد استبعدت الأمم ، وأمام طبقة استقراطية قد استبعدت الطبقات كلها ، فلا أبلغ من قوله : « لخروج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده » ، هنالك أنواع من الاستبعاد ، واستبعاد الإنسان للإنسان أقبح من الاستبعاد للحيوان ، وعبادة الإنسان للإنسان ، أكثر من عبادة الإنسان للآوثان . ثم قال : « ومن ضيق الدنيا إلى سعتها » ، إخوانى و سادق ! لو قال من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة لم استغرب ، لأن هذا معلوم كانوا مؤمنين أن هناك حياة أوسع وأطيب من هذه الحياة ، والدنيا ضيقة والأخرة واسعة ، يقول الله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والأرض » ، وفي الحديث : « لوضع سوط أحدهم في الجنة أوسم من الدنيا وما فيها » ، فإذا كان سيدنا ربي بن عامر قال من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، لم يكن مستغرباً ، بل كان متوقعاً ومفروضاً ، ولكن قال من ضيق الدنيا إلى سعتها ، نحن العرب البدو الذين نعيش في الحيام و الذين نأكل لحوم الأبل ، و نعيش على التمر ، إنما جئنا لنجربكم أيها الفرس هؤلاء العرب إذا دخلوا في حدود فارس التي كانت من أرق البلاد ، و في المدائن خاصة الإمبراطورية الإيرانية يسلّل لعابهم على الأطعمة المترفة الفارسية ، وأن تتحلّب أفواههم على هذه النعم التي كان الفرس يتمتعون بها ، إن العرب الذين كانوا

هذا ، و أدق و أعمق و أقوى ؟ الانسان يموت عطشاً و لا يشرب من كان من خشب ؟ هكذا استعبدتهم عاداتهم ، استعبدتهم شهواتهم ، استعبدتهم أحافيم ، استعبدتهم تقاليدهم ، و استعبدتهم المعاير المصطنعة ، و لكن العرب كانوا أحراراً بكل معنى الكلمة .

يقول ربي بن عامر: أنت يارستم تتصور أنتا خرجنا الضيق لشاركم في السعة لا لا القیاس خاطئ ، أنتم تعتقدون أنتا خرجنا رثماً لأنفسنا و رحة بنا لأننا قد ضاقت صدورنا من هذا العجز المالي ، ومن ضيق الموارد ، لا إنما آخر جن الرثاء لكم ، نحن نعطف عليكم لأنكم عبيد ، و عبيد عشر مرات ، و عبيد مائة مرة ، ولعشرات من الأشياء ، ما هي العبودية ؟ إذا كانت العبادة لوثن واحد ، فهناك عبادة مائة وثن ، ولكن الله سبحانه و تعالى قد حرر العرب المسلمين من هذه العبادات كلها ، من عبادة الأولئك أولاً وهي أقبح العبادات ، ثم من عبادة العادات ، و عبادة الرفيع . هذا هو المستوى الصحيح لرجل كريم شريف ثم تبعدوه ، تربطون بها قواسمكم و تربطون طاقاتكم و تربطون شرف إنسانيتكم بهذا المستوى الذي تضعونه أنتم و تبنيونه .

و يمكن له مثال واحد : إن يزدجرد لما غادر بلاده و عرف أنه لا يرجع إلى بلاده ، وأن الحكم للعرب المسلمين باذن الله تعالى ، جاء إلى كوخ عجوز فقيرة ، فأصابه العطش فطلب الماء ، ثبات العجوز المسكونة بالماء في كوب من خشب ، فقال: أشرب من هذا ؟ ، و الله لو مت عطشاً ما استطعت أن أشرب من هذا ، و قدم إليه طعام في هذه الجولة الاضطرارية ، فقال لا استطيع أن أسيغ لقمة إلا إذا سمعت الغناء و الموسيقى (١) فكان الملوك و الأمراء إذا جلسوا على الموائد ، غنى المغنون أولاً ، بعد ذلك يطيب لهم الطعام . و أي عبودية أكثر من

المصطنعة التي قامت على دماء الفقراء و على عرق الفلاحين . إن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم الفقراء في هذا الجيش الإسلامي لم يصل لهم قلوبهم الرثاء و الرحمة و ما تركت مكاناً في جوانبهم للبغطة و للحسد ، يقول سيدنا ربي بن عامر : أنا أرى لك يارستم و أرى لامتك و أرى لبلادك ، و أرى لمن حولك ، إنكم في ضيق و نحن في سعة ، أنتم كالبلبل الغريب ، و كالصفور المدلل في نفس ذهن ، فالطائر المدلل مهما كان مدللاً ، إذا كان في قفص فهو أسير محبوس و كذلك أنتم في رق و اسر ، أنتم عبيد خدمكم ، أنتم عبد عاداتكم ، أنتم عبيد حضاركم «أتعبدون ما تتحدون » ، أنتم تعبدون ما تتحدون ، تقولون هذا هو المستوى الرابع . هذا هو المستوى الصحيح لرجل كريم شريف ثم تبعدوه ، تربطون بها قواسمكم و تربطون طاقاتكم و تربطون شرف إنسانيتكم بهذا المستوى الذي تضعونه أنتم و تبنيونه .

قد رقت قلوبنا ، و دمعت عيوننا ، و ذابت مهاجنا لكم لا لنا .

هنا يا إخواني ! قد استدار الزمان كثيبة ، الآن مجاعة لإيابنة تحتاج العالم فيكم النجدة و فيكم الاسعاف ، يا أبناء العرب والمسلمين ! إنقذوا العالم كله من برائني الجاهلية ، من برائني الوثنية ، من برائني عبادة الشهوات و النفوس « و من أحسن قولاً من دعا إلى الله و عمل صالحاً ، وقال لاني من المسلمين » هناك منظمات عليه الموارد . غنى المغنون أولاً ، بعد ذلك يطيب لهم الطعام . و أي عبودية أكثر من

(١) تاريخ إيران لشاهين مكاريوس .

أو قضيائنا جانبياً، القضية الرئيسية الآن التي تشغّل عقل المفكرين الخالصين، هو مصير الإنسانية و الوضع الحاضر، هنالك يجتمع دور المسلمين، دور الدعاة المسلمين إن أن يحملوا رسالة الإسلام مرّة ثانية إلى أوروبا وأميركا ولروسيا وأقطار الشرق البعيد، ويقول لهم أنتم في شقاء، أنتم في جحيم، أنتم أو جدّتكم واخترعتموه، فويدي أن نخرجكم من جميع المذلة المادية، جميع المذلة السياسية، جميع العبث بمحاصير الأمم، العبث بالحظوظ الإنسانية، والعبث بالكرامة الإنسانية، إلى هنا يجب أن يبلغ مستوى عقولنا و تفكيرنا، أمامكم مضمار واسع المدى، أمامكم مجال كبير، وأمامكم معركة حامية، أمامكم مصير حاسم، يجب أن تهثوا نفسكم و تدعوها للدخول في هذا المضمار، هذا هو المضمار الأممي العالمي وأنتم فرسان هذا المضمار، ويقول الشاعر العربي:

كل أمرٍ يُسْعَى إِلَى يوْمِ الْمِيَاجِ بِمَا اسْتَعْدَا

أَدْعُوكَ تَبَارِكْ وَتَعَالَى أَنْ يُوقَفَنَا جَمِيعًا، وَأَنْ يَقْدِرَنَا نَصِيَّا مِنْ هَذَا الشُّرُفِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَكْرَمَ بِهِ آبَاءَنَا الْمُؤْمِنِينَ الْغَرَبَ الْمُبَاهِمِينَ، وَأَنْ يَكْتُبَ لَنَا نَصِيَّا فِي هَذِهِ السَّعَادَةِ .

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .



أين جيش الإنقاذ، أين الدعاة الخالصون الربانيون، أين الذين يرون للحالة الراهنة وللوضع الشائن، الذي يعيش العالم كله من أوروبا وأميركا وروسيا الصين واليابان والمند، إن أهل هذه الأقطار جديرون بالرثاء، جديرون بالرحمة، ليسوا جديرين بالبغطة، هؤلاء يعيشون في عذاب من التناقض والتناقض، سلطنه ألقه عليهم، هم في خوف من الموت، في خوف من الفقر، في خوف من الحرب، وصدق ألقه العظيم «الشيطان يدعكم الفقر وأمركم بالفحشاء»، أخبرني الثقات الخبراء أن أكثر دواء استهلاكاً هي الأدوية المنومة، لأن هؤلاء لا يهدأ لهم بال، ولا يقر لهم قرار، فيتعاطون الأدوية المنومة حتى يتناسوا همومهم، كل واحد يلهم كالكلب الذي إذا ضربته يلهم وإذا تركته يلهم، من يخرجهم من الظلمات إلى النور، و من الشقاء إلى السعادة، السعادة الأبدية، ومن الازعاج، ومن الهم الذي قد ملك عليهم نفوسهم وضمائرهم ووعيهم وتفكيرهم إلى هدوء البال، وإلى الرضا والطمأنينة، إلى الرضا باقه تعالى؟.

هذه حاجة العصر، وهذه فريضة الداعي المسلم، أن يخرج مرة ثانية من هذه الجزيرة و من جميع البلاد الإسلامية، و يحمل رسالة الإسلام، و رسالة السلام، السلام بكل معنى الكلمة، السلام العالمي، السلام العقلي، السلام النفسي، السلام الباطني و الظاهري، يحمل رسالة الإسلام الكاملة، و يحمل رسالة السلام الشاملة، و يملك من البيان و من قدرة التفهيم ما كان يملّك ذلك البدوي، لذلك تحتاج إلى أدب إسلامي جديد لذلك تحتاج إلى القدرة على التفهيم ليبلغحتاج إلى الاعتزاز بالنفس، و بالشخصية الإسلامية، و برسالة أكرمها الله بها .

هذه هي قضية العصر الشاغلة، هذه قضية الساعة أيها الأخوان كل قضيائنا الإنسانية التي تجسم و تتجسد، و تفخم، و يبالغ فيها، هي قضيائنا خالية،

تلك وجهة نظر في المنع ، أيدها كثير من المشغلين بعلوم اللغة (١) .
ولا أميل إلى وجهة النظر هذه ، كما ذكرت في كتاب المطبوع سنة ١٩٨٠ ،
ويؤيد بعض المعاصرين ، مثل أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (٢) عفوا الله عنه .

وأقول في إيجاز لبيان وجهة النظر في أهمية بحث هذا الموضوع :

- إن النفس مجبرة على الاستفهام عن علل الأشياء ونشومها .
- بـ - والبحث في اللغة وأوليتها وترجمتها يسر اللغة ، وينميها بالاجتهد فيها ، إذا كانت من وضع البشر .
- جـ - وقد بحثها أئمة اللغة من قبل ، لأن أهمية الموضوع فوجب بحث الموضوع في عصر العلم

ـ حول الموضوع (اللغة) حقائق في خلق آدم ، وذكر الملائكة ، وعصيان إبليس .
وخلق السماوات والأرض ... ومحضات البرهان الضروري من السمع والتجربة
والمقاييس قد تكشف عن الموضوع بالظنية الراجحة إن لم تكن بالقطعية اليقينية ،
والظنيات الراجحة تصبح في قوة القطعيات أحياناً ، والمشاحة إذن في الراجح والأرجح .

ـ ونحن نبحث عن جميع أصول العلوم ، فلم لا نبحث عن أصول العلوم اللغة ؟
فالبحث في أصول اللغة بعامة ليس من الفضول ، وإنما هو من الأصول ،
فلا يجب إغفاله ، ولا الغض منه ، ولا اتسار الموضوع برمه .

وبحثنا فيه جديد ، لمحاولة طرح أبعاد وآراء لم يلم بها كثير من الباحثين ،
والأهم من ذلك : محاولة استكناه معرفة السر في النظريات ، كما لو أنها أصحابها ، بما
اعتقوه من معتقدات أثرت في تفكيرهم ، ومحارتهم روية كل شيء من خلال مناظيرهم .

(١) راجع المزهر ٢٦/١ ، وفاسفة اللغة ، د ، كمال الحاج ص ٢٨ ، وعلم اللغة د .
وافي ١٥ .

(٢) اللغة العربية بين القاعدة و المثال ، ص ٤٩ ، وكتابنا (علم اللغة العام)
ط : مكتبة و هبة بالقاهرة .

ما وراء النظريات في البحث عن نشأة اللغة

للدكتور : توفيق محمد شاهين

البحث في أصل نشأة اللغة بحث غبي ميتافيزيقي ، و من ثم كانت الآراء
حول هذا الموضوع ظنية قوامها الحدس و التخمين ، لأنها لا تعتمد على الأسلوب
العلمي التجاري و المنهجي .
والبحث في اللغة وأصولها التاريخية يعود إلى البحث فيها قبل التاريخ ، وبالتالي
فإن مؤدي الناتج ظني و متضارب .

ولذلك مال كثير من العلماء إلى بحث هذا البحث وتجاهله ، وقد منعت الجمعية
الفرنسية إلقاء محاضرات في هذا الموضوع بقانون سنته لذلك ، لأنه لا يدخل في نطاق
علم اللغة ولا طائل في البحث من ورائه .

ويؤيد ذلك العالم اللغوي (لاينتو) لأن : (اللغات بمثابة كتاب ، علينا
أن نحسن القراءة فيه ، ولكن نحسن هذه القراءة ينبغي أن نقرأ أولاً لنفهم ثانية ، لأن
نفهم أولاً لقرأ ثانية ... أن نقرأ ونحسن فهم يحجب عنا الواقع الابياني ، إذ لا نقرأ
إلا ما نريد أن نفهمه ، وهذا تحويل للحقيقة اللغوية .

علينا أن نقرأ في كتاب اللغات و أذهاننا حالية من كل فكرة سابقة ، علينا
أن تكون كصحيفة يضاهي يدون فيها ما يجب تدوينه .

وقال ابن السكي في (رفع الحاجب) : والصحيح عندى أنه لا فائدة لهذه
المسألة ، وهو ما صححه ابن الأنباري وغيره) .

و بالجملة : فما قيل عن أصل اللغة ، إن لم يتم دليل على بطلانه ، فإنه لم يتم
دليل على صحته .

البشرى ، وإن كان الاسلام سباقاً في هذا الصدد بال بت في خلق الانسان من طين و ماء و تراب ، ونفح فيه الخالق سبحانه من روحه فكان بمراً سرياً ، و جاءت البشرية على إثره توبيدياً لا تطورياً .

و يلاحظ أن القول بالتطور قوى النزعة المقلية عند القائلين بها ، وأنجر ذلك إلى التطور المطلق لأولية اللغة عند القائلين بذلك .

والغريب أن صاحب رأى التطور في الانسان لم يجزم به كنظريه ثانية، ولكنها ثبتتها مفتونون ، كانوا ملوكين أكثر من الملك ، بلغوا النظرية قوله يقيناً و مقطوعاً به .

فالتفكير الاسلامي حل مشكلة خلق الانسان في صورة بسيطة وطبيعية وحاسمة ، ويعطي الحديث الاجتماعي السابق عليها، ويدور ذلك في طرف السؤالين : متى ، وكيف . وما دام الانسان متغيراً ، والأحداث متعددة ، فإن اللغة تتغير ، وتنتشر وتعيش وتتكاثر وتزدهر بقوانين أمكن معرفتها وحصرها في نظامها .

وتميز التفكير في اللغة بالتحليل لطبيعتها ، و ملاحظة تدرج النطق بها ، ورصد خط مسارها ، مع وصف الظواهر . . تميز كل ذلك بأن دار البحث في قضيتين

أساسيتين : هنا التوقف عند النصين ، والاصطلاح والمواضعة عند المقلقيين ، بدون أن يحظى البحث في النهاية بتقرير حاسم ، وإن حظى بلاحظات و مرجحات ترضي .

وكان اختلاف وجهات النظر عند طرح الموضوع ، لأنه ما انفرد بالبحث وحده ، وبالتأني لم ينفرد بصفة شمولية ، فضلاً عما اعتور البحث من مسليات

او معتقدات مسبقة ، مال إليها كل باحث ، فرجحها أو وقف عندها لا يريم . .

وأدى كل ذلك إلى الشتات وعدم الترابط ، للنحو العقدي أو المقلعي السابق . .

و حين اختلفت وجهة النظر عند البدء كان الصراع جديلاً، بسبب اختلاف منهج البحث ، وكذلك بسبب مشكلة البحث في أولية اللغة ارتبطت مشكلة أخرى هي : بدء الخلق

(١) د . عبد السلام المنسى ، في مقالة قيمة ، في مجلة « آفاق عربية » ، العراقية

ص ٥٤ ، سنة ٦ ، عدد ٢/٢ .

(٢) المؤمنون : ١٤-١٢ .

(٣) الموسوعة : ٣١ .

نجاذب هذا الموضوع قدّيماً وحديثاً : الفلاسفة ، والمفكرون ، ورجال الدين ، والباحثون عن الانسان وتاريخه عاملاً ، وثار فيه جدل في الفكر العربي والاسلامي . وظهر في نهاية المطاف أن اللغة هي (أحد مفاعلات الوجود الانساني : إذ هي طرف المعادلة النوعية لثبت خصوصية الانسان ، ولما كان الانسان حصيلة تماذلة بين طرف وجود المادة زماناً ومكاناً : فإن معادلة التفاعل تنصر فيها عناصر الانسان و اللغة و الزمان و المكان فتنفتح حتماً التغيير و الاستحالة) (١) .

فالعناصر المدرستة هنا لن تعدو الانسان كمتكلم ، و اللغة كدلول لغوى يتلو خط مسارها ، مع وصف الظواهر . . تميز كل ذلك بأن دار البحث في قضيتين أساسيتين : هنا التوقف عند النصين ، والاصطلاح والمواضعة عند المقلقيين ، بدون أن يحظى البحث في النهاية بتقرير حاسم ، وإن حظى بلاحظات و مرجحات ترضي .

وكان اختلاف وجهات النظر عند طرح الموضوع ، لأنه ما انفرد بالبحث وحده ، وبالتأني لم ينفرد بصفة شمولية ، فضلاً عما اعتور البحث من مسليات او معتقدات مسبقة ، مال إليها كل باحث ، فرجحها أو وقف عندها لا يريم . .

وأدى كل ذلك إلى الشتات وعدم الترابط ، للنحو العقدي أو المقلعي السابق . .

و حين اختلفت وجهة النظر عند البدء كان الصراع جديلاً، بسبب اختلاف منهج البحث ، وكذلك بسبب مشكلة البحث في أولية اللغة ارتبطت مشكلة أخرى هي : بدء الخلق

(١) د . عبد السلام المنسى ، في مقالة قيمة ، في مجلة « آفاق عربية » ، العراقية

ص ٥٤ ، سنة ٦ ، عدد ٢/٢ .

(٢) الموسوعة : ٣١ .

وعلم آدم الأسماء كلها : (١) ، وكافح في سبيل تأييدها ، مع أنه حين البرهنة سبجح إلى التوقف .

وأبو علي الفارسي (٥٣٧٧) يؤيد النظرية (واعتقاداً) يقبل معه تلبذه ابن جن (٥٣٩٥) إلى هذا الرأي أحياناً ، لأنه من مؤيدي فكرة الاصطلاح ، فهو يرى الاصطلاح بعقله ، ويروي بقلبه (التوقف) اعتقاداً (٢) .

ووجدت نظرية التوقف حتى العصر الحديث أنصاراً .
فالfilسوف الفرنسي (دو بار نالد) والآباء (فرانسو الامي) من المؤيدين (٣) .
ويؤيدوها حتى الآن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، ويروي أن نشأة اللغة
والمهنية عند الباحثين منهم وجهة النظر الشمولية ، أو الجائحة ، أو الابتسرالية
في طرح الموضوع برمتها بدون تمييز وتفضيل ، والطرح هذا لا يليق .

وينتهي بقوله تعالى : « ويكلم الناس في المهد وكلا » ، حين كلام عيسى
القم في المهد بدون سابق تعليم أو اصطلاح . ويصعب أستاذنا الشيخ ، لأن الأنجل
لم يشر إلى تلك الحادثة الفذة ، تتجهداً لبعضه عليه السلام :
ويروي أن الأسماء جاءت لسمياتها ، لأنها ألفاظ تعين مسمياتها ، وقدى هدى
آله تعالى آدم عليه السلام الأسماء ، لأنه ليس باستطاعة آدم التغيير عن معطيات
الأسماء بدون تعليم من آله ، وهذا التعليم أذاخ عنا عيناً كبيراً من صعوبة التفاه ،
ولو لا ذلك لما استطاع آدم ولما استطعنا أن تتفاه على شيء إلا إذا واجهنا الشئ
وأشرنا إليه ... وينتهي إلى القول بأن هذه الأسماء عليها آله الإنسان الذي يتفاه بها ،
وإنسان أصله من آدم) (٥) .

(١) الصاحب ص ٥ . (٢) الخصائص ١ / ٤٥ .

(٣) نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ، د/ وافي ص ٢٥ . (٤) البقرة - ٣١ .

(٥) خواطر حول القرآن الكريم . جريدة اللواء الإسلامي ، القاهرة ، السنة

الثالثة ، عددي ١٤٢ ، ١٤٣ .

★ ما وراء النظريات في البحث عن نشأة اللغة ★

و مرجع التشتبه هنا تأويلي تفسيري ، يرجع للشارح ، لا إشكال من طبيعة الدين ولا من جوهره النقّال السوي .

وقد جنح الذين قالوا بالتوقف إلى القول بالاصطلاح صراحة أو ضمناً ، وبالطبع نشأة من القولين قول ثالث خلط بينهما ، وجاءت فروع أخرى لها وجهة نظر قوية أحياناً ، ولا تقوى على الظهور أحياناً (١) .

و موضوع نشأة اللغة أشبع كلاماً وبحثاً ، وما زال المجال مفتوحاً للباحثين على أن يأتوا بمحدث ومفید [وهذا منليس طرفاً من أصلحة الفكر العربي والإسلامي ، و المتوجهة عند الباحثين منهم وجهة النظر الشمولية ، أو الجائحة ، أو الابتسرالية طرح الموضوع برمتها بدون تمييز وتفضيل ، والطرح هذا لا يليق .

و نظرية التوقف والأهام قديمة ، قال بها الفيلسوف اليوناني (هيرو قليط) ٤٨٠ ق.م ، وزميله هيرو كليت ٤٨٠ ق.م .

و أفلاطون يراها ظاهرة طبيعية ، و حروفها و أصواتها جزء من معناها . بينما يراها أرسطو : ظاهرة اجتماعية ورموزاً اصطلاحية ، لا علاقة لها بالمعنى ، و الإشارات التي وردت في الكتب المقدسة تؤيد وجهة نظر هؤلاء :

فقد جاء في سفر التكوين ، في الإصحاح الثاني ، فقرة ١٩ : (إن آله خلق كل شئ ، ثم عرضها على آدم ، لسميتها . فسمها آدم ...) فهنا وضع من آدم ، بال تمام من الحائق ، و ابن فارس (٣٩٥) في (الصاحب) أيد النظرية ، بدليل قوله تعالى :

(١) من هذه النظريات : محاكاة أصوات الطبيعة أو [- البو - دو] والأصوات التعبوية العاطفية أو محاكاة الأصوات لمعانٍ لها كما تدل الحروف على ذلك ، أو نظرية الاستجابة الصوتية للحركات المضدية ، أو الاشارة الصوتية ، أو نظرية دراسة اللغات القديمة ، أو نشأة اللغة عند الطفل . . . وكل هذه النظريات نفت ، ورد بعضها ، لأدلة قامت تفندها .

أن الله علم آدم مسميات الأسماء ، وحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه ذكر الأسماء ، لأن الاسم لا بد له من مسمى ... و كان المذوف المضاف إليه لا المضاف ، لأن التعليم وجوب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات ، وقد علق الآباء بالآسماء في (أنبئهم بأسمائهم) ، فوجوب تعليق التعليم بها (١) .

ولكن صاحب كتاب (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) يرد على الزمخشري بقوله : (و هو - أى الزمخشري - يفر من اعتقاد أن الاسم هو المسمى ، لأن ذلك معتقد أهل السنة ، فيعمل الحيلة في إبعاده عن مقتضى الآية بقوله : «أنبئهم بأسمائهم» ، ويتفاوض عن قوله تعالى : «ثم عرضهم على الملائكة» ، فإن الضمير فيه عائد إلى المسميات اتفاقاً ، ولم يجر إلا ذكر الأسماء ، فدل على أنها المسميات .

و يعرض أيضاً عن حكمة التعليم وأن تعليقه بنفس الألفاظ ، لا كبر غرض فيه ، بل الفرض المهم تعليقه لذوات المسميات و اطلاعه على حقائقها ، وما أودع فهو يرى : أنه لا تكير في الإضافة التي فر منها الزمخشري ، لأن الأسماء بمعنى الإضافة لما بين الأعم و الأخص من التغاير .

و ابن القيم - رحمه الله - وهو سفي لا معتزل ، يسير في فلك الزمخشري .

حين يقول :
 (الاسم في أصل الوضع ليس هو المسمى . فكذلك الاسم غير المسمى ، وقد صرخ بذلك سيبويه ، وأخطأ من نسب إليه غير هذا ، وادعى أن مذهب اصحابها) (٢) .

(٢) الكشاف ١/٢٧٢ .

(١) الكشاف ١/٢٧٢ .

(٢) بدائع الفوائد ١/١٦ .

★ ما وراء النظريات في البحث عن نشأة اللغة ★

أى أن الإنسان أصله توليدى لا تطورى ، والتعليم اللغوى كان بالحاجة من الخالق سبحانه : ويقول ابن عباس : علم الله آدم اسم كل شئ حتى القصيدة والمعرفة (١) .

وقد توجه النقد لهذه النظرية بتركيزه و موضوعه ، من ناحية اللفظ والمعنى : فالالفاظ في (علم) و (الأسماء) ، تحتمل : أهتم ، أو أقدر على وضع الألفاظ و الأصطلاحات عليها ، و أين (الأفعال و الحروف) ؟ وهي جزء من الكلام ، وهل الإضافة على تقدير مسميات الأسماء ؟ أو غير ذلك ؟

وما معنى أن يتعلم آدم كل اللغات ؟ ولماذا ؟ وهل مثلت له كل المسميات ؟
 و أى لبشر الاحاطة بكل اللغات ؟ ..

ماخذ كثيرة وضفت القاتلين بهذه النظرية في حيرة أو صمت ، وجعلتهم يميلون أحياناً إلى القول بالوضع المشوب بالتوقف ، وجعلت علامات استفهام كثيرة تتعثر أدلة القاتلين بالوحى و الاهام و التوقف .

وكل ذلك جعل كثيراً من مفكري المسلمين يتربدون بين القول بالتوقف و الاصلاح ، أو يرددون القولين بدون القطع برأى :

فالمأمور يستعرض الآراء كلها حين تفسير قوله تعالى : «وعلم آدم الأسماء كلها ، .. في عمق وشموية ، ثم لا يجزم بالقطع حول رأى واحد ، يقول :
 (... لما ضعفت هذه الدلائل جوزنا أن تكون كل اللغات توقيفية ، وأن تكون كلها اصطلاحية ، وأن يكون بعضها توقيفياً ، وبعضها اصطلاحياً) (٢) .

فع استعراض الظواهر و القضايا لم يستطع الإمام خير الدين الرازي البطل و القطع برأى ، نظراً للتشتت المنهجي ، و من ثم قال بكل الاحتلالات الممكنة .

وينتضح تلوين الآراء تبعاً لإنج المتبع ، حين تتبع الآراء التالية :

يرى الزمخشري - رحمه الله - في قوله تعالى : «وعلم آدم الأسماء كلها » ،

(١) صفة التفاسير ٤٨/١ . (٢) مفاتيح الغيب ، تفسير الرازي ١/٢٣ .

ويرى الإمام الغزالى أيضاً - أمارة على اهتدائه إلى الواقع الحقيق لجوهر المشكل - أن البحث الرماني في أصل نشأة اللغة ليس إلا مشكلة زائفة ، بسبب :

أن النظر في مبدأ اللغات إما أن يقع في الجواز أو في الواقع :

فالجواز العقلي شامل للذاهب الثلاثة ، والكل في حيز الامكان .

والواقع من هذه الأقسام لا مطمع في معرفته بقينا إلا ببرهان عقلنا ، أو بتواتر خبر ، أو سمع قاطع ، ولا مجال لبرهان العقل في هذا ، ولم ينفل به تواتر ولا فيه المضمون الاشكالي لها :

و الإمام الغزالى - رحمة الله - يعطي المسألة احتيالات مطروحة ، فيمس

أبعاداً كثيرة ، ويدرك صوراً يحملها القول والمنطق ، بناء على مذهبة ، يقول حالة

على صاحب الكشاف .

و من المفسرين من اعتزل الخلاف في الاضافة والمحذف ، واكتفى بقوله في قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، أي أنه سبحانه عليه أسماء المسمايات كلها (١) .

وسنرى عند العقلانيين أن طريقة طرح المشكل هي جوهر الاستئصاء ، وأن القضية تعود أولاً وأخيراً عند فرز الآراء إلى موقع الفاحص لها أكثر مما تعود إلى المضمون الاشكالي لها :

و الإمام الغزالى - رحمة الله - يعطي المسألة احتيالات مطروحة ، فيمس

كونه مورداً كل الفروض الممكنة :

١- أن آدم - عليه السلام - ربها ألم الحاجة إلى الوضع ، فوضع اللغة
بتديبه وفكرة .

٢- أو أن الأسماء ربها كانت موضوعة باصطلاح بين الملائكة سابق لآدم .

٣- أو أن المراد بالاسماء : أسماء السماوات والأرض ، وما في الجنة والنار ،
دون الأسماء التي حدثت مسمياتها بعد آدم ، ويقوى هذا الاحتمال عموم صيغة
اللفظة في « وعلم آدم الأسماء » .

٤- أنه ربها عليه ثم نسبه ثم اصطلاح بعده أولاده على هذه اللغات المعرودة الآن ،
و الغالب أن أكثرها حادة بعده) (٢) .

فالشكل منحصر في أصل النشأة ، ولكن الحرج في تأويل الآية على رأى
قاطع في طريقة البسط المنهجي الواضح ، و المبني على أساس قوية وسليمة . . . جعل
التأويلات مختلة ، و الاختلاف قائمة وواردة .

(١) صفة التفاسير ٤٨/١ . (٢) المستصفى ١٤٥/١ .

(١) المستصفى ٤٥/١ . (٢) عبس ، ٣١ . (٣) جامع البيان ١/٢١٦ .

(٤) المصادر ٤٠/١ . (٥) المصادر ٤٠/٢ .

(٦) المصادر ٢٨/٢ . (٧) المصادر ٤٠/١ .

فهو متعاطف مع النظرية الأكثري شيوها وقبولاً، وهي المواجهة والاصطلاح، ويرى أن اللغة موجودة قائمة بالذات متكاملة، والحديث عن نفس القضية من حيث العودة في الزمن إلى مطلع الخلق والوجود، ويفرق بين الأمرين بمعطلحين رشيقين، وهما: مقياس «الاعتقاد»، ومقاييس «الزمان»، على حد تعبير الدكتور عبد السلام المسمى، في مقالة القين (١).

عبد السلام المسمى، في إطار الحذر وإراد كل الفروض الممكنة حذرًا من البت في أمر متيقن، فدار التكهن بتفسيره عقلياً واعتقادياً.

وسيف الدين الأمدي يرى اللغة أمرًا غير عقلي، وتنقل أمورًا عقلية، يقول:

(... ثم إن هذه العبارات والتقديرات غير حقيقة، أى ليست أمورًا

عقلية (بل اصطلاحية) مختلفة باختلاف الأعصار والأمم.
ولهذا لوقع التواضع من أهل الاصطلاح على أن يكون التفاه بنقرات وزمرات ...
لقد كان ذلك جائزًا، ومدلول هذه العبارات والتقديرات حقيق، لا يختلف
باختلاف الأعصار، ولا باختلاف الاصطلاحات، بل المدلول واحد وإن تغيرت
تلك الدلالات، وتلك المدلولات هي التي يعبر عنها بالنطق النفسي والكلام الحقيق

وما سواه فليس بحقيقة).

فالدلالات عند الأمدي رمز اصطلاحية، وتصح عرفاً متى تعرف عليها،
ومن ثم فالتواضع مستمر لتفطئة حدث اجتماعي حقيق بمدلول لغوي غير حقيق
من جهة شيء أصلاً فــ كــ به عنه، وهو عنده وعلى ما تراه الآن لازم مــن قال
في ذاته.

والإمام ابن حزم - رضي الله عنه - في ذكائه، أهدى إلى جوهر المشكل
المبسط بربطه جديلاً بأصل نشأة الإنسان ذاته - كما يقول الدكتور عبد السلام
المسمى عن ابن حزم انطلاقاً من تأكيد أن النوع الإنساني لا يوجد إلا وهو متكل
اللغة منشؤها الاصطلاح لا الوحي والإلهام.

(١) مجلة آفاق عربية (العراقية) السنة السادسة عدد ٢ ص ٥٧.

★ ما وراء النظريات في البحث عن نشأة اللغة

فابن جني ليس بمعتزلي، وقد جوز الأمرتين، ولكنه مال إلى الاصطلاح، ولكن علينا أن نراه في موقف آخر: في هذا الموقف نراه يدفع (معتزلياً) إلى مضائق الاحتجاج، ليعرف بأمكانية القول بالتوقيف والإلهام... ويضعهم بحسن الصنعة في الاحتجاج إلى مالا يستطيعون فيه الهرب. يقول:

(... إلا أنني سألت يوماً بعض أهل (الاعتزال)، فقالت: ما تذكر أن تصح المواجهة من الله تعالى، وإن لم تكن ذا جارحة: بأن يحدث في جسم من الأجسام: خشبة أو غيرها، إفلا على شخص من الأشخاص، وتحريكها نحوه، ويسمع في نفس تحريك الخشبة نحو ذلك الشخص صوتاً يضنه اسماءه، ويعيد حركة تلك الخشبة نحو ذلك الشخص دفعات؟

قادر على أن يقنع في تعريفه ذلك بالمرة الواحدة، فتقوم الخشبة في هذا الإيمان وهذه الإشارة مقام جارحة ابن آدم في الإشارة بها في المواجهة.

وكأن الإنسان أيضاً قد يجوز إذا أراد المواجهة أن يشير بخشبة نحو تلك المواد المواجهة عليها، فيقيمه في ذلك مقام يده لو أراد الإيمان بها نحوه؟

فلم يجب (المعتزلي) عن هذا بأكثر من الاعتراف بوجوبه، ولم يخرج من جهة شيء أصلاً فــ كــ به عنه، وهو عنده وعلى ما تراه الآن لازم مــن قال بامتانة مواجهة القديم لغة مرتجلة، غير مآفلة لساناً إلى لسان (١).

فابن جني هنا مضائق لمعتزلي، وسبق أن حكينا أنه يميل إلى أهل النظر في أن

(١) الخصائص ٤٥/١.

ومن المفيد أن نذكر تعليق الدكتور المسدي على ما سبق من آراء ونظريات ،
ففي تعليقه غبة ، يقول (١) .

هكذا نتبين كيف أن قضية ما وراء اللغة إنما تستند إلى إشكال منهجي تأويلي ،
دون أن تكشف افتراقاً مبدئياً ، أو اضطراباً فكريّاً : بحيث إنها لو عولجت في مختلف
اطوارها بما يجعل الناظر مطمئناً إلى توحد المحركات النظرية (المقابلة) ، بعيداً عن
افتراض كل تجزي فكري ، أو تقطع أصولي (أبستيمولوجي) .
ولقد كانت كل الآراء المختلفة تصدر عن محرك توليدى ، هو (فكرة المراضة)
في الحديث اللغوى مطلقاً .

وإذا كانت هذه النظرية قد تغلغلت في مسام التراث العربي ، فقبعت وراء
أرضية الموروث اللغوى فيه ، ولم تبرز بالفعل إلى سطح الأبنية العلوية في تاريخ العلم
النظري ، فانما ذلك يعزى إلى ضغوط خارجية ، هي : اضطرارات التقى والاحتياط
في مفترق انقسامات المذاهب بين ملل ونحل .

وملا كان لأهل الاعتزاز نصيب الصدارة في بلورة هذه النظرية وتأسسيها .
فقد انسحب الريب الخامدة بالمعزلة على النظرية نفسها : فأصبح القول الصريح باملاات
النزعه المقلانية من رصيد المحظورات ، يتقيه المتعاطف والمشاكش على حد سواء .
ويبيّن أن نشير إلى أن ما تحمله الفاظ اللغة العربية أحياناً من معانٍ تقرب
أو تبعد أو تضاد بعضها لها دخل كبير في اختلاف التفسير والتأنيل ، وتلون المعنى
المكان ، لأن الطبيعة واحدة في جميع النوع ، وكذلك نجد هم يستوون كلهم فيها توجهه
الطبيعي لهم ، إلا أن يعرض عارض حائل في بعض النوع) (٤) .
ذلك نظرة سريعة عما وراء النظريات في القول بنشأة اللغة ، ويتعلق بها ما يمكن
أن نسميه بالشرعية اللغوى في نشوئه ونموه وانتشاره ، وستتناول ذلك في حديث
آت إن شاء الله . . .

وأله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

(١) آفاق عربية ص ٥٧ .

{ ٦٥ }

★ ما وراء النظريات في البحث عن نشأة اللغة ★

ويخلص إلى تقرير أن مبدأ اللسان هو مطابق مع مبدأ نشأة الوجود البشري
[طلاقاً] ، ويزاد تقريره جزماً عندما يردف أن القضية تعكس مثلاً هي تطرد :
إذ أنه كما لا سيل إلى وجود الإنسان بلا كلام ، فكذلك لا سيل إلى
وجود كلام بلا إنسان (١) يقول ابن حزم :

(الكلام حروف مؤلفة ، والتأليف فعل قابل ضرورة لا بد له من ذلك) ،
على أن هذا التحرك الجدل يقضى هو الآخر إلى تحديد مبدأ النشأة في الوجود ،
لأن (كل فعل له زمان ابتدئ فيه ، لأن الفعل حرركه تعددها المدد ، فصح أن لهذا
التأليف أولاً ، و الإنسان لا يوجد دونه ، و ما لم يوجد قبل ماهه أول ، فله
أول ضرورة) (٢)

فابن حزم وإن ربط جوهر المشكك جديداً بأصل نشأة الإنسان ذاته ،
أو ربط منشأ اللغات بمنشأ قابل اللغات وهو الإنسان . . إلا أنها للحظ أنه زاد
رأيه تحقيقاً وتدقيقاً بتمييز الفارق بين مقتضى الطبيعة في وجودها المتواصل ، ومقتضى
الخلق الطارئ عليها (و استخلص جدلاً أن الكلام حدوث طارئ على الطبيعة ،
مثلما أن الإنسان في ذاته عارض من أعراض الوجود الكوني) (٣) يقول ابن حزم :
(فصح ضرورة - ححة حسنة مشاهدة - أنه لا بد في اللغات من معلم ،
ولا بد في الصناعات من معلم ، ليس من المعلميين الذين في طبعهم تعلم ذلك دون
تعلم ، إذ لو كان ابتداء ذلك موجوداً في الطبيعة لوجد ذلك في كل عصر وفي كل
مكان ، لأن الطبيعة واحدة في جميع النوع ، وكذلك نجد هم يستوون كلهم فيها توجهه
الطبيعي لهم ، إلا أن يعرض عارض حائل في بعض النوع) (٤) .

ذلك نظرة سريعة عما وراء النظريات في القول بنشأة اللغة ، ويتعلق بها ما يمكن
أن نسميه بالشرعية اللغوى في نشوئه ونموه وانتشاره ، وستتناول ذلك في حديث

(١) آفاق عربية ص ٥٥ . (٢) الأحكام ٢٩/١ .

(٣) آفاق عربية ص ٥٥ . (٤) الرسائل لابن حزم ٥٠/١ .

كتاب الجامع لعبد الرزاق الصنعاني

بقلم المحدث الكبير الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي

إننا نجد في القرن الثاني أئمة فقهاء من أكابر المحدثين يعنون أشد العناية بتأليف
الجامع في الحديث ، ف منهم من أفرده بالتأليف كسفيان الثوري الكوفي ، ومعمر بن
راشد البصري ثم البيهقي ، و عبد الله بن وهب المصري ، و منهم من ألف كتاب
الجامع وجعله حاتمة تصنيف له ، كالإمام مالك المدفون ، والإمام عبد الرزاق الصنعاني ،
و الذي يدو لنا من ناحية تقدم بعضهم على بعض سنًا ، أن الذي سن هذه السنة ،
هو السفيان الثوري ، و لا ندرى إذا كان سبقة أحد من أئمة هذا الشأن بتأليف
الجامع ، لكن ادعى ابن العربي المالكي في كتابه القبس أن كتاب الجامع **كتاب**
آخر له مالك في التصنيف لفائدتين :

إحداهما أنه خارج عن رسم التكاليف المتعلقة بالأحكام التي صنفها أبويا ،
ورتبها أنواعاً ، الثانية أنه لما لحظ الشرعية وأنواعها ، ورآها منقسمة إلى أمر ونهي ،
وإلى عبادة ومعاملة ، وإلى جنایات وعادات ، نظمها أسلاماً ، وربط كل نوع بمحنته ،
وشذت عنه من الشرعية معانٍ منفردة ، لم يتفق نظامها في سلك واحد لأنها متغيرة
المعاف ، ولا يمكن أن يجعل لكل واحد منها باباً لصغرها ، ولا هو أراد أن يطيل
القول فيها يمكن إطالة القول فيها ، بجعلها أشتاتاً ، وسمى نظامها كتاب الجامع ، فطرق
لألفين ما لم يكونوا قبل به عالمين (الزرقاني على الموطأ) .

و الذي أراه أنه لا يدعى ذلك في الجامع مطلقاً ، وإنما يدعى في الجامع
الذي يشتمل عليه تصنيف آخر ، ويكون هذا كفصل من فصله ، كالجامع الذي في
آخر المصنف لعبد الرزاق ، أو كذلك وضعه محمد بن الحسن الشيباني في موته .

و كانت هذه الجوامع تُنسب إلى مؤلفها ، ويعرف أن هذا الجامع لغلان ،
وذاك لغلان ، برواية المحدثين الرواية إليها بأسانيدم المتصلة إلى مؤلفها ، وبعض من
روايات المؤلف مباشرة ، على أن هذا كتاب الجامع لغلان ، كما نعرف أن كتاب
الجامع الذي في آخر الموطأ مالك ، من تأليفه نعرفه برواية يحيى بن يحيى عنه كتاب
الجامع في ضمن الموطأ ، وهذا بين معلوم قطعاً لدى كل من له إمام بهذا الشأن ،
و لهذا لما وجدنا نسخ المصنف لعبد الرزاق متظاهرة على احتواه كتاب الجامع
ورواية الدبرى لمياه عن عبد الرزاق كرواية ماعداه من الكتب التي يحويه المصنف ،
ـ كتاب الفرائض ، وكتاب الأيمان والندور ، وكتاب القطة ، وكتاب الأشربة ،
ـ وكتاب العقول وغيرها ، علينا أن هذا الجامع لعبد الرزاق وأنه جزء من أجزاء
ـ المصنف ، فطبعناه كما وجدناه ، ونحن متأكدون من أنه لعبد الرزاق لا لغيره كاتباً من
ـ المصنف ، كان ، أما يرى أن راوي المصنف عن عبد الرزاق : أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن
ـ عباد يقول عقب عنوان كتاب الجامع : (أخبرنا عبد الرزاق بن همام قال : أخبرنا
ـ عباد يقول عقب عنوان كتاب الجامع في كتاب الأشربة الذي قبل كتاب الجامع في
ـ عمر) (١) كما يقول عقب عنوان كتاب الأشربة الذي قبل كتاب الجامع في
ـ عمر وآله والد السيد حميد الله : (أبو يعقوب (إسحاق بن إبراهيم) قال : أخبرنا
ـ نسخة والد السيد حميد الله : (أبو يعقوب (إسحاق بن إبراهيم) (٢) و يقول حين يستهل كتاب الفرائض :
ـ عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمر) (٣) و يقول حين يفتح (ابن جرير) (٤) و يقول في
ـ حدثنا يعقوب قال : قرأتنا على عبد الرزاق عن ابن جرير) (٥) و يقول في
ـ أول كتاب الأيمان والندور : (حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن
ـ العفان) (٦) فكيف يمكن أن نقول : إن كتاب الجامع الذي بين دفتي المصنف لعبد الرزاق
ـ إنما هو لمعمر بن راشد ، و الكتاب الذي قبله بين دفتيه هو لعبد الرزاق .

(١) ص : ١٣٦ . (٢) ص : ١٢٩ .
(٣) ص : ١١٤ . (٤) ص : ١٠٥ .

الشيخ ولی اقه الدهلوی ، حيث يقول في كتابه بستان المحدثین في ترجمة المصنف عبد الرزاق : «إن من الطريف أن عبد الرزاق ختم مصنفه بذكر شمائل النبي ﷺ و أئمته بذكر شعر رسول الله ﷺ» ، يقول : (عبد الرزاق حدثنا معمر عن ثابت عن أنس قال : كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه) فالشيخ عبد العزيز أيضاً يرى أن كتاب الجامع الذي في آخر المصنف هو عبد الرزاق .

و من أجل البراهين على أن هذا الجامع هو عبد الرزاق ، أن عبد الرزاق تارة كان يحدث به في ضمن المصنف وقد سمعه عليه في ضمنه أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدبری ، وتارة كان يحدث به وحده مفرداً ، وقد سمعه عليه مفرداً الحافظ الحجة أحمد بن منصور الرمادی ، وتداول هذا المفرد الحفاظ والرواۃ من المحدثین بالرواية بالاجازة و بقراءته على الشیوخ والاستجازة ، وقد عثرت على نسخة من الجزء الأول منه ، و على بعض الجزء الأول من نسخة أخرى ، وإحداها أقدم من الأخرى ، فالأقدم ، وهو الجزء الأول منه بتأمه بخط الامام الحافظ المفتى في الفتح نصر بن أبي الفرج الحصري ، المتوفى سنة ٦١٩، وقد كتب على ظاهر الورقة الأولى : (الجزء الأول من كتاب الجامع عن عبد الرزاق بن همام أبي بكر الصنفان) .

رواية أبي بكر أحد بن منصور بن سبار الرمادی عنه .

رواية أبي علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح الصفار عنه .

رواية أبي الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ... عن الصفار .

رواية أبي المعمر عبد الله بن سعد ... يعرف بخزيفه عن أبي طلحة سعاع منه

اصاحبه نصر بن أبي الفرج .

وكتب في آخره :

«الجزء الأول ينلوه في الثاني إن شاء الله : باب حب المال ، - والحمد لله يذكر على هذا أحد منهم ، بل سائره وتابعه شيخ مشايخنا الامام عبد العزيز بن

لكن من العجائب أن هناك من يدعى أن كتاب الجامع الذى ختم به المصنف عبد الرزاق ، هو الجامع لمعمر بن راشد ، ولم يفطن له محقق الكتاب فالحقيقة في آخر المصنف .

نعم هذا من العجائب ، وأعجب منه أن المحقق الذى يأخذ على هذا هو الذى سلك هذا الملاك قليلاً ، فالحقيقة بالمصنف في نسخة والده التي خططها له يده ، وقد عثرت على تلك النسخة حين كنت أتحقق المصنف عبد الرزاق وانتفعت بها .

يقول والده رحمه الله في آخر تلك النسخة : (الحمد لله سبحانه قد تم كتابة هذه النسخة الشريفة على يد الراجي إلى الله أبي محمد خليل الله بن محمد صبغة الله قاضي الملك إمام العلماء ، وفي آخر هذا بعض الصحف على يد ابنى وقرة عين محمد حميد الله (لى) و ذلك في إحدى عشرة خلون من شهر المبارك ربيع الأول سنة ثمان وأربعين بعد الألف وثلاثمائة من هجرة النبي ﷺ ، في بلدة حيدر آباد) .

وأزيدك أن شيخ مشايخنا الشيخ سعيد سقبل مؤلف رسالة الأولائل جعل هذا الجامع جزءاً من المصنف ، فإنه يقول في تلك الرسالة (وبالسند المتقدم إلى الامام الحجة عبد الرزاق الصنفان أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه ، وهو آخر مصنفه) وكل من اطلع على المصنف يدرى أن هذا الحديث هو آخر أحاديث كتاب الجامع ، وقد جعله الشيخ سعيد آخر حديث من المصنف ، ولا يصح هذا إلا إذا كان كتاب الجامع جزءاً من المصنف ، ولما كان المصنف عبد الرزاق كان الجامع له كغيره من الكتب التي يحييها المصنف ، ورسالة الأولائل هذه قد تداولها المشايخ من المحدثين بالاجازة والاستجازة منذ أواخر عبد الإمام ولی الله أحد بن عبد الرحيم الدهلوی ، ولم يذكر على هذا أحد منهم ، بل سائره وتابعه شيخ مشايخنا الامام عبد العزيز بن

ابن الصابوبي (المتوفى سنة ٥٥٦) ، (١) و عبد الواحد بن الحسين بن عبد الواحد البارزى (المتوفى ٥٦٢) (٢) و خزيفة الوزان (المتوفى سنة ٥٦٢) (٣) على الشيخ حسين بن طلحة ، وكان سمعاً عمن بقراءة الحافظ الثقة ثابت الكلى (المتوفى سنة ٥٢٨) (٤) وكان هذا السباع و القراءة في سنة ٤٩٢ (٥) .
ثم نقل نصر من خط ابن الأخضر (و هو الإمام الحافظ المستند محدث العراق) (٦) ثقة المأمون :

«إن الأول من جامع عبد الرزاق سمعه على ابن طلحة جماعة ، منهم : مسندة العراق خفر النساء شهدة بنت أبي نصر ، الكاتبة المشهورة ، في جمادى الآخرة من سنة تسعين (و أربعين)»

(١) كان معن كتب و حصل ، سمع الحديث الكثير ... و حصل الأصول و كان قياماً صدوقاً ، (ابن النجار) .

(٢) حدث بالكثير ، و كان شيخاً صالحًا متديناً ، (ابن النجار) .

(٣) سعدود إلى ذكره .

(٤) و كان عنى بالحديث و سمع الكثير و كتب الكثير و كان رفيقاً للسابق ثقة سماعيه ابن نقطة ، و ابن النجار ، و ابن الدبيسي ، والذبي ، ينسخه بخطه ، ويسميه بكتاب الجامع عن عبد الرزاق و بجماعه عبد الرزاق ، ويدرك سماعيه من خزيفة

معتقداً بأنه جامع عبد الرزاق .

(٥) سمع على الشيخ حسين بن طلحة العالى .

(٦) شيخ ابن الدبيسي ، و ابن النجار ، والضياء المقدسى ، و البرزالي و آخرين ، قال ابن الدبيسي : لم أر في شيوخنا أوفر شيوخاً و لا أغزر سمعاً منه ،

و قال ابن نقطة :

«كان شيوخنا ثقة ثبتنا مأموناً كثير السباع واسع الرواية صحيح الأصول ،

و قال الفزوي : ما رأيت في شيوخنا مثله في كثرة مسموعاته

و معرفته لما يحيجه و حسن أصوله و حفظه و إتقانه ، (تذكرة) توفي سنة ٦٦١ .

{ ٧١ }

حق حده و صلاة على سيدنا محمد و آله وسلم - في النسخة المنقول منه ذكر سمع جماعة بخط الحافظ أبي الحسان القرشى ، وقد نقله من خط أبي المعمور الأنصارى منهم عبد الوهاب بن الصابوبي ، و عبد الواحد بن الحسين بن عبد الواحد البارزى و خزيفة الوزان وغيرهم بقراءة ثابت الكلى في رجب سنة اثنين و تسعين و أربعين على الشيخ حسين بن طلحة العالى ، و كتب نصر بن أبي الفرج الحصري » .
و اتبعه نصر بكتابه ما نصه « و سمع الأول من جامع عبد الرزاق على ابن طلحة جماعة منهم شهدة بنت أبي نصر الأبرى و مفود بن الحسين و محمد و عبد الرحمن ابنا الطا ... بن الفضل بن طاهر في جمادى الآخرة من سنة تسعين ، نقله من خط ابن الأخضر » .

وفي هذا الاستعراض ما يقنع كل منصف بأن كتاب الجامع الذى في آخر المصنف عبد الرزاق الذى استلهما يباب وجوب الاستيدان ، هو تاليف الإمام عبد الرزاق .
(١) لأن الإمام نصر بن أبي الفرج الذى أجمع على ثقته و ضبطه و إتقانه وكثرة سماعيه ابن نقطة ، و ابن النجار ، و ابن الدبيسي ، والذبي ، ينسخه بخطه ، ويسميه بكتاب الجامع عن عبد الرزاق و بجماعه عبد الرزاق ، ويدرك سماعيه من خزيفة

ويشير هذا الإمام إلى أنه نقل الجزء الأول من جامع عبد الرزاق من نسخة مكتوب عليها بخط الإمام الحافظ أبي الحسان القرشى حرث بغداد (١) - :

«إن هذا الجزء من جامع عبد الرزاق ، سمعه جماعة ، منهم : عبد الوهاب

(١) حافظ ، عالم ، ثقة ، عنى بطلب الحديث و سماعيه و كتابته (ابن الدبيسي) .

و كان ثقة صحيح النقل (ابن الحصري) الإمام الحافظ ... محدث بغداد (الذهبى) .

و الحافظ البارع مفید الشام تقى الدين ابن الأنماطي المتوفى سنة ٦١٩ (١)، و مسند الديار المصرية العلامة عبى بن هبة الله المصرى المتوفى سنة ٦٤٩ (٢) و أباه أبا الفضائل هبة الله ، كلهم يرون أن هذا الجزء هو الأول من جامع عبد الرزاق ، لأن جامع معمر ، وقد قدمت أن هذا الجزء هو نفس الجزء الأول من الجامع الذى في آخر المصنف عبد الرزاق .

- ثم إن في آخر نسخة الامام نصر بن أبي الفرج سماعاً بخط الامام الحافظ عبد الغنى المقدسى محدث الاسلام المتوفى سنة ٦٠٠ ، يسمى فيه هذا الجزء بالجزء الأول من جامع أبي بكر عبد الرزاق ويقرأ على الشيخة شهداء ، يقول : (سمع هذا الجزء على الشيخة العالمة شهداء . . . وهو جزء أول من جامع أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاوى بحق سماعها من . . . التعالى عن أبي الحسن بن بشران عن إسماعيل الصفار عن . . . الرمادى عنه ، أبو الفتح . . . و ابنه . . . و عبد الغنى بن عبد الواحد . . . بقراءته ، و كتب السباع) . فهذا الامام الذى وصفه الذهى بمحدث الاسلام يراه الجامع عبد الرزاق ، لا جامع معمر .

و قد قرأ هذا الجزء في هذه النسخة على الشيخة شهداء . . . الحافظ الامام عبد القادر الرهاوى (٣) أيضاً و كتب السماع بخطه في سنة ٥٦٦ ، ولم يذكر على تسميته الجزء الأول من جامع عبد الرزاق .

(١) قال ابن النجار : كانت له عابية وافرة وحرص تام وجد واجتهاد مع معرفة كاملة وحفظ وحذق ونقد ، و قال ابن الحاجب : كان إماماً وأحال الأنماطى في آخر نقله على ما شاهده من خط أبي المواهب بن صدرى ،

ثقة حافظاً حصل ما لم يحصله غيره .

(٢) انتهت إليه مشيخة العلم بالديار المصرية .

(٣) الحافظ الذى ختم به الحديث (تذكرة) توفي سنة ٦١٢ .

{ ٧٣ }

في هذا دلالة واضحة على أن نصر بن أبي الفرج الامام ، و الحافظ أبا الحسان القرشى ، و الحافظ ثابت الكبلى ، و الامام ابن الأخضر ، ومسندة العراق شهداء ، و غيرهم ، من سمع هذا الجزء على ابن طلحة يعتقدون أنه أول جامع عبد الرزاق ، لا جامع معمر .

(٤) وكذلك يعتقد الحافظ عمر بن الحاجب المتوفى سنة ٦٣٠ ، الأول من جامع عبد الرزاق ، فإنه اتقى هذه النسخة التي بخط نصر ، وجعلها وفقاً موبداً في خزاناته ، وكتب في أسفل الورقة الأولى بخطه :

ـ شاهدت بخط الامام الحافظ تقى الدين بن الأنماطى - رحمه الله - ومنه نقلت ما صورته : سمع الجزء الأول من جامع عبد الرزاق وآخره إلى باب حب المال ، إلى الشيخة الصالحة شهداء بنت أبي الفرج الابرى بسماعها من أبي عبد الله الحسين بن طلحة عن أبي الحسين بن بشران عن أبي إسماعيل الصفار عن أبي بكر الرمادى عن عبد الرزاق - بقراءة أبي عبد الله محمد بن المحسن بن أبي المضاء - أبو الفتح نصر بن أبي الفرج ابن الحصري و أبو الفضائل هبة الله بن سلامة بن مسلم المصرى ، وابنه أبو الحسن على وفاته فرج الحلبى (كذا) وجاءة ، وذلك في جادى الأولي سنة إحدى وسبعين وخمسين .

ـ وأحال الأنماطى في آخر نقله على ما شاهده من خط أبي المواهب بن صدرى ، قوله ما شاهده عمر بن محمد الأمين .

(١) وهذا يعني أن الامام الحافظ أبي المواهب بن صدرى المتوفى سنة ٥٨٦ (١)

(١) محدث دمشق ومفيدها ، عنى بهذا الشأن وكتب العالى والنازل وكان مليح الخط .

{ ٧٤ }

وكتب أحد بن محمود بن إبراهيم بن فهان بن الجوهرى . . . سنة أربعين وست
مائة بالبطور بظاهر دمشق وكانت القراءة من نسخة .

انتهى ما كنا نريد أن تتحدث عن هذه النسخة ، ونرجع الآن إلى النسخة
الآخرى . فنقول : هي نسخة جليلة الخط جداً لاصحابها تقي الدين القلقشندى من
أنجب تلامذة الحافظ بن حجر ، ونسخة أراها بخطه ، مكتوب على ظاهر ورقه
الأولى الجزء الأول من كتاب الجامع تأليف الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاوى .
رواية أبي بكر أحد بن منصور الرمادى عنه

رواية إسماعيل الصفار عنه

رواية ابن بشران المعدل عنه

رواية أبي عبد الله النعالي عنه

رواية شهدة بنت أحد الكاتبة عنه

رواية ... على ابن بنت الجيزى عنه

رواية يحيى بن يوسف المصرى عنه

رواية السويداوى عنه

رواية الحافظ ابن حجر العسقلانى عنه

رواية ... عبد الرحمن ... القلقشندى عنه

وكتب في أسفل تلك الصفحة التي فيها اسم الكتاب ، صاحب النسخة التقي
القلقشندى ، ما صورته سمعه على الشيخ الإمام ... ابن حجر العسقلانى بيده بقراءة
الحادي عشر قطب الدين الخيفى . . . الإمام العلامة على بن أحد القلقشندى
و ولداته . . . و آخوه - لايه أبو الفضل عبد الرحمن بن أحد . . . وهذا خطه . .
وآخرون كتبوا على الأصل ، وصح ذلك ليلة الجمعة السابعة عشر من شعبان المكرم
من سنة ٨٤٣ . . . وأجاز (باختصار) .

ويبدو لنا أن الحافظ الإمام نصر بن أبي الفرج كانت له عنابة وافرة برواية
هذا الجزء من جامع عبد الرزاق فنراه يتوجه نسخه بيعمه ، ثم زراه يولي قراءته
مرة بعد مرأة ، فقرأه على الثقة الصالح خزيفة بن سعد في سنة ٥٥٨ - ثم قرأه على
عبد الواحد البارزى في سنة ٥٥٩ ، ثم زراه يسمعه على شهادة بقراءة غيره سنة ٥٧١ .
و زراه يسمع بنسخته للحدثان حتى يكتبوا عليها سماعاً لهم ، فسمح بها محمد
ابن أبي بكر بن أحد البصري ، وسمح بها لأحمد بن أبي بكر بن أبي السعادات المعروف
بابن البنجى ، وسمح بها للحافظ عبد القى المقدسى الإمام - وسمح بها للحافظ
عبد القادر الراوى .

وما زال هذا الجزء عنده يقرأ فيه ويعيره لغيره حتى انتقل في وقت ما إلى
خزانة كتب الحافظ عمرو بن الحاجب الأميني ، فوقفه وقفأ مؤبداً ، ثم نوى الحافظ
أحمد بن محمود الجوهرى المتوفى سنة ٦٤٣ ، يذهب به إلى مصر ، ويقرأ فيه عند الإمام
العلم على بن هبة الله المعروف بابن الجيزى بمنزله ، في سنة ٦٢٤ ، فيسمعه بقراءته
المحدث الرجال على بن بلبان المقدسى المتوفى ٦٨٤ ، ويكتب فيه ابن الجوهرى السماع
بقلمه فيقول : قرأت جميع هذا الجزء الأول من جامع عبد الرزاق . . . على الشيخ
الفقيه . . . المعروف بابن الجيزى (إلى قوله) وكتب أحد بن محمود بن أحد بن
فهمان الجوهرى إلخ .

ثم لاحق ابن الجوهرى الحافظ بزداد شغفه بجامع عبد الرزاق فيحصل الجزء
الثاني والثالث والرابع منه بنسخها ويفضيها إلى الجزء الأول ، ثم يحضر مجلس
مسندة الشام كريمة بنت عبد الوهاب بستانها بالبطور فيقرأ عليها الأجزاء الأربعية في
نسخته ويكتب السماع بخطه على الورقة الأخيرة من نسخة نصر بن أبي الفرج ونصه
باختصار : قرأت جميع هذا الجزء الأول وما بعده من الأجزاء الأربعية وهو جميع
كتاب الجامع لعبد الرزاق بن همام على الحرة الأصلية أم الفضل كريمة ابنة عبد الوهاب
- ثم ذكر لجازتها من مشائخها وسرد أسماء من سمع بقراءاته - ثم كتب : وصح

الإسلامية ، و ذلك توخياً منهم أن يحطوا قيمة شعره الإسلامي ، ويضعفوا مكانة السامية الذرى في الشعر الإسلامي خاصة ، ولكن هؤلاء النقاد الذين انكروا في كثير آياته الإسلامية صحة نسبتها إليه ، لم يروا أى بأس في شعره الجاهلي ، و أفروه بشئ كثير من رحابة الصدر ، و عظمه و رفعوا منزلته الفنية .

نحن لا ننكر أن مناوئيه من حاولوا أن يدسوا في شعره الإسلامي ما لم يكن من كلامه أو ينسبوا إليه ما لم يقله مما يعيب شعره وينقص قيمته ، لم يتroxوا من وراء ذلك إلا أن يثبتوا أن الإسلام لا يشجع الشعر و الشعراء ، بل إنه يخمد القرائح و يبلد الشعور و يبطئ الهمم ، و يأتي على الملوكات الشعرية والأدية ، و يستنصر الفريض ، وهم يقولون : إن القرآن قد انكر الشعر و الشعراء ورفضها .

مكانة حسان لدى النبي ﷺ :

و لا حاجة إلى إعادة ما قد تحدثنا عنه حول الشعر في الإسلام وكيف أن الإسلام شجعه ونزعه من المعانى المنكرة والصور القبيحة ، وزينه بالمعانى والأفكار الجميلة اللطيفة ، و قد نال حسان بن ثابت لدى النبي من المكانة العظيمة ما لا يخفى على النقاد و مؤرخي الآداب العربية .

ولكن شعره الذي قرره في حياة النبي ﷺ في المناسبات الدينية الخالصة ، يمثل شعره الإسلامي ويعتبر بحق شعرآ قويآ حافلا بالروح والتأثير وقد استعمل فيه الفنون الكلامية كلها من الفخر والهجاء والمدح والرثاء والغزل والوصف والحكمة والرد على المزاونين وتعييرهم ، والانتصار للرسول ﷺ والدفاع عن الدعوة الإسلامية والإسلام الأولى التي بدأت منذ الهجرة إلى المدينة المنورة .

حسان بن ثابت فاق في شعره الإسلامي جميع الشعراء المختصرمين كيفاً وكماً ، و آتى فيه من المعانى الشعرية المستكرة بشئ عجيب يدهش العقول ، ولذلك نرى أن «الناس» أثاروا غبار الشك حول قصائده الإسلامية وشعره الذي قاله في الأغراض

حسان بن ثابت الأنباري

و شعره الإسلامي

(١)

سعيد الأعظمي

شاعر إسلامي ذذ :

لم يوجد من شعراء العرب في الإسلام من جند مواهبه الشعرية في الدفاع عن الإسلام و الدعوة إليه بكل فن من فنون الكلام ، مثل حسان بن ثابت رضي الله عنه ، فإنه هو الذي وضع طاقاته الكلامية و مؤهلاته الفنية كلها في خدمة النبي ﷺ ونصرته والذرد عنه ، ومدحه ، و الاعتزاز بالإسلام والفاخر باهتمامه إليه ، ولذلك نرى أن شعره الإسلامي في فترة عشر سنوات فقط تجاوز الرقم القياسي و أصبح أضخم شعره الذي قرره في الجاهلية التي طالت فترتها وامتدت إلى سبعة سنين من عمره ، ولا تقل حياته الشعرية فيها عن أربعين سنة .

شعره الإسلامي حافل بالروح و التأثير :

ولكن شعره الذي قرره في حياة النبي ﷺ في المناسبات الدينية الخالصة ، يمثل شعره الإسلامي ويعتبر بحق شعرآ قويآ حافلا بالروح والتأثير وقد استعمل فيه الفنون الكلامية كلها من الفخر والهجاء والمدح والرثاء والغزل والوصف والحكمة والرد على المزاونين وتعييرهم ، والانتصار للرسول ﷺ والدفاع عن الدعوة الإسلامية والإسلام الأولى التي بدأت منذ الهجرة إلى المدينة المنورة .

حسان بن ثابت فاق في شعره الإسلامي جميع الشعراء المختصرمين كيفاً وكماً ، و آتى فيه من المعانى الشعرية المستكرة بشئ عجيب يدهش العقول ، ولذلك نرى أن «الناس» أثاروا غبار الشك حول قصائده الإسلامية وشعره الذي قاله في الأغراض

لقالوا : هو الموف بخفرة جاره وذمته يوماً إذا ما تذمها (١)

فأطالع الشمس المنيرة ، فوقيم على مثله ، منهم أعز وأكرما

إيه إذا يأبى ، و أكرم شيمة وأنوم عن جار ، إذا الليل أظلم (٢)

قال ابن هشام في سيرته :

و أما قوله « أجرت رسول الله منهم » ، فإن رسول الله ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يجبيوه إلى ما دعاه إليه من تصدقه ونصرته ، صار إلى حراء ، ثم بعث إلى الأنس بن شرقي ليجبره ، فقال : أنا حليف ، والخلف ثالث يده ، وجب علينا شكره (٣) .

و قال حسان بن ثابت أيضاً مدح هشام بن عمرو (٤) لقباه في الصحيفة :

و باسمك اللهم ، فقال حسان بن ثابت يبكى المطعم من عدي حين مات ويدرك قيامه

في نقض الصحيفة (٢) .

هل يوفين بنو أمية ذمة عقداً كأوف جوار هشام

من عشر لا يغدون بجارهم للحارث بن حبيب (٥) بن حمام

(١) الخفرة : العهد ، تذمم : طلب الذمة وهي العهد .

(٢) أنوم عن جار : يريد أنه لا يوذى جاره .

ديوان حسان ، طبع دار صادر ، بيروت .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ / ص ٢٠ - ٢١ .

(٤) أسلم هشام بن عمرو ، وكان من المؤلفة قلوبهم .

(٥) هو تصغير حبيب بالتحفيف ولكن شدده للضرورة .

★ حسان بن ثابت الانصاري ★

علق ما أنت إلى عام الناقض الأوتار والواتر

فقال النبي ﷺ : يا حسان لا تبعد تشذفي هذه القصيدة بعد مجلسك هذا ، فقال :

يا رسول الله تنهاني عن رجال مشرك مقيم عند قصر ، فقال ﷺ : يا حسان أشكر

الناس للناس أشكراً لهم تعالى ، وإن قبض سأل أبا سفيان بن حرب على فتاول مني

(وفي خبر آخر : فشعث مني) وإن سأله عن فاحسن القول فشكراً له رسول

الله ﷺ على ذلك ، وروى من وجه آخر أن حسان قال : يا رسول الله من

نا تلك يده ، وجب علينا شكره (١) .

حسان مدح المطعم بن عدي :

و قد كان المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف له دور كبير في نقض

الصحيفة التي تكتبت فيها قريش على بن هاشم وبيه المطلب ، وهو الذي أعلم

براءة إلى الله مما كتب فيها فقام إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرض قد أكلتها إلا

فلو كان مجد يخلد لليوم واحداً

من الناس أبقى مجده اليوم مطاعها

أجرت رسول الله منهم فأصبروا عبادك ما لبى ملب و أحراها

فلو سُئلت عنه معد بأسرها وقططان أو باق بقية جرها

أعين ألا ابكي سيد الناس واسفحي بدمع فان أزفته فاسكب الدما (٣)

على الناس ، معروف له ما تكلما وبكي عظيم المشعرين وربها

فلو كان مجد يخلد لليوم واحداً

من الناس أبقى مجده اليوم مطاعها

أجرت رسول الله منهم فأصبروا عبادك ما لبى ملب و أحراها

فلو سُئلت عنه معد بأسرها وقططان أو باق بقية جرها

(١) الامام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز ص ١٦ .

(٢) راجع سيرة ابن هشام ج ٢ / ص ١٥ .

(٣) أزفته : أخذته .

و جاء في سيرة ابن هشام برواية ابن إسحاق :

لم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافق يعلم ، إلا أن الصبحاك ابن ثابت أحد بني كعب رهط سعد بن زيد قد كان يهتم بالتفاوض وحب يهود ف قال حسان :

أعيبت على الإسلام أن تتجدد
من مبلغ الصبحاك أن عروقه
كبد الحمار ولا تحب محدداً (١)
تحب يهدان المجاز ودينهم
فه الفواد أمرته قهوداً (٢)
وإذا نشأ لك ناشئ ذو غرة
لو كنت هنا لم تخالف ديننا
وتبعثت دين عتبك حين تشهدنا (٣)
دينا إنما ينبع ما يوافق ديننا
ما استن آل بالبدى و خوداً (٤)

(١) يهدان يمعن اليهود ، كبد الحمار ، منصوب بفعل مخذوف ، وهو : أعني .

(٢) يعني إذا ولد لك مولود ذو غرة غير بجرب للأمور ، فه الفواد : عاجز

(٣) يعني إذا ولد لك مولود ذو غرة غير بجرب للأمور ، فه الفواد : عاجز

(٤) يعني إذا ولد لك مولود ذو غرة غير بجرب للأمور ، فه الفواد : عاجز

(٥) يعني إذا ولد لك مولود ذو غرة غير بجرب للأمور ، فه الفواد : عاجز

(٦) يعني إذا ولد لك مولود ذو غرة غير بجرب للأمور ، فه الفواد : عاجز

(٧) يعني إذا ولد لك مولود ذو غرة غير بجرب للأمور ، فه الفواد : عاجز

(٨) يعني إذا ولد لك مولود ذو غرة غير بجرب للأمور ، فه الفواد : عاجز

(٩) يعني إذا ولد لك مولود ذو غرة غير بجرب للأمور ، فه الفواد : عاجز

(١٠) يعني إذا ولد لك مولود ذو غرة غير بجرب للأمور ، فه الفواد : عاجز

★ حسان بن ثابت الانصاري ★

وإذا بنو حسل أجاروا ذمة أوفوا و أدوا جارهم بسلام (١)
حسان مع أبي أزيهر الدوسى :

كان أزيهر الدوسى رجلاً شريفاً في قومه فعدا هشام بن الوليد بن المغيرة عليه فقتله بعقر (٣) الوليد الذى كان عنده ، تتفيداً لوصية أبيه إيه ، و كان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتاً ثم أمسكتها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، ولذلك كان الوليد قد أوصى ابنه هشاماً بأخذ العقر من أبي أزيهر الدوسى وذلك بعد ما هاجر رسول الله عليه وسلم إلى المدينة ، وكان قد مضى بدر ، وكانت عائشه بنت أبي أزيهر الدوسى عند أبي سفيان بن حرب فكان صهراً له ، هنالك انبعث حسان ابن ثابت يحضر في دم أبي أزيهر ويغير أبي سفيان خفرته ويحييته :

و يقول :

غداً أهل حضنى ذى المجاز بسحرة وجار ابن حرب بالمحسب ما يغدو (٣)

كساك هشام بن الوليد ثيابه فأبل و أخلف مثلها جدداً بعد (٤)

قضى وطرأ منه فأصبح رخواً ما تُحب وما تُعدو (٥)

فلو أن أشياخاً يمدد شهوده لبل متون الخيل معتبر طور (٦)

فما منع العير الضروط ذماره وما منعت مخزاة والدها هند (٧)

(١) المصدر السابق .

(٢) العقر (بالضم) دية الفرج المقصوب .

(٣) ذو المجاز موضع بني ، وحضرناه ، جناباه ، المحسب : موضع رمى الحمار ببني .

(٤) اراد بالثياب ، العار الذى لزمه بقتل صهره .

(٥) الوطر : الأرب وال حاجة ، الخبب ضرب من العدو .

(٦) بل متون الخيل بالدم ، المعتبر : الدم الطرى ، الورد : الأجر .

(٧) اراد بالغير الضروط أبا سفيان ، الذمار ما يلزم حفظه وحمايته ، المخزاة العار .

لما صنع الملك غداة بدر
بدت أركانه جنح الغروب (١)
كما د الغاب ، مردان وشيب (٢)
على الأعداء في لفح الحروب (٣)
وكل مجرب خاطئ الكعوب (٤)
بنو النجار في الدين الصليب (٥)
وعنة قد تركنا بالجحوب (٦)
فقادرتنا أبا جهل صریما

(١) يشير إلى الفتح والانتصار الذي أكرم الله به المسلمين في غزوة بدر .
(٢) يشبه : تجمع المشركين فيها بجمل حراء ، الغروب جمع الغرب ، ما اطمأن رب حقا ، وقد أنوار الموقف معاني شعرية جميلة في نفس حسان فقال :

غروب الشمس .
(٣) شبه جمع المسلمين بأسود الغابة . مردان جمع أمرد وهو الشاب الذي طرشاربه ولم تنبت لحنه ، وشيب جمع أشيب ، بمعنى الشيخ .
(٤) آزروه بمعنى عاونوه شدوا أزره ، لفح الحروب يعني شدة الحرب .
(٥) صوارم جمع صارمة بمعنى السيوف القواطع ، مرهفات بمعنى مشحدات ، مجرب يريد به الرمح الذي تمرس بالحروب ، خاطئ الكعوب ، يعني الكثيب ، الجديد ، شبه أنوار الديار بالسطور المكتوبة .
(٦) الغطارف جمع غطريف ، السيد ، الصليب من الصلابة يعني الشديد والمتين ، مكتنز الكعوب ، وهو من خطأ يخظو ، اللحم إذا أكتنز .
(٧) الجحوب ، الأرض الغلاظة .

شعره في الغزوات الإسلامية :

لقد كان هو أكبر نصيب من الشعر في الغزوات الإسلامية ، ساعدته في ذلك فريحته الشعرية الواقادة ، و شعوره بعجزه عن مواجهة العدو بالسلاح في ميدان القتال ، فأبدله الله سبحانه و تعالى ذلك بالشعر الحى الأغر ، ذى التأثير والقوة ، الذى كان يفوق السلاح ، ويوجع الأعداء ، و ينال منهم كل منازل ، وكان أشد عليهم من السيف والسان ، وأذع عليهم من الضرب والفتوك .

و هذه قصيدة قالها يوم بدر ، لما أمر رسول الله ﷺ بقتل المشركين أن يطروا في القلب ، و حيث طرحا في القلب وقف عليهم رسول الله ﷺ فقال : « يا أهل القلب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فاني قد وجدت ما وعدني رب حقا » ، وقد أنوار الموقف معاني شعرية جميلة في نفس حسان فقال :

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب (١)
تعاونها الرياح وكل جون من الوسي مهزم سكوب (٢)
فامسى رسها خلقا وأمست ياباً بعد ساكها الحبيب (٣)
فدع عنك التذكر كل يوم ورد حزرة الصدر الكثيب (٤)
وخبر بالذى لا عيب فيه بصدق غير اخبار الكذوب
(١) الكثيب : القطعة المحدودة من الرمل ، الوحي : الكتابة والمكتوب ، القشيب ، الجديد ، شبه أنوار الديار بالسطور المكتوبة .
(٢) تعاورها بمحذف إحدى النائين : يعني تداولها ، الجنون : السحاب الأسود ، الوسي : مطر أول الربيع ، هنهم بمعنى سائل .
(٣) خلقا يعني بالآ ، الياب ، الخراب الذى ليس فيه أحد .
(٤) الحرازة ما أوجع في القلب وجزء من غيظ ، من حر يحر ، بمعنى قطع .

دلام بغرور ثم أسلم
إن الحديث لمن والاه غرار (١)
و قال : إف لكم جار فأوردم
شر الموارد فيه الخزي و العار
ثم التقينا فولوا عن مراتهم
من منجدن ، ومنهم فرقة غاروا (٢)
أيات أخرى في يوم بدر :

يذكر فيها سراة القوم الذين قتلوا من المشركين ، ويتأسف على سوء مصيرهم ،
لأنهم كفروا باقه و آذوا رسوله عليه السلام ، وأتوا من مكة ليقاتلوه فقتلوا حتى قتلوا
شرعاً :

إبارتنا الكفار في ساعة العسر (٣)
ألا يت شعرى هل أذ أهل مكة
قتنا سراة القوم عند مجالا فلم يرجعوا إلا باقاصة الظهر (٤)
قتنا أبا جهل و عتبة قبله و شيبة يكتبوا للدين وللحرب
قتنا سعيداً ثم عتبة بعده و طعمها أيضاً عند ثانية القبر (٥)
فكم قد قتانا من كريم مرضه له حسب في قومه نابه الذكر
تركتناهم للعاديات يبنهم و يصلون ناراً بعد حامية القبر (٦)

(١) يريد به ليس اللعين الذي يخدع كل من والاه .
(٢) سراة جمع سرى يعني الخيار والوجاء ، منجدن يعني مرتقين إلى النجد من الأرض ، غاروا يعني ذهبوا إلى الغور من الأرض متفرقين ومتشتتين .

(٣) إبارة مصدر أبار يثير بمعنى الأهلات .

(٤) باقاصة الظهر : الداهية التي تقصم الظمور ، يقال قضم الشف ، إذا كسره يذكر ويونث .

(٥) القبر : الغبار ، و ثانية القبر ، ما ثار منه و ارتفع .

(٦) العاويات ما يعودى من الذئاب والسباع ، يبنهم من لفثال المسلمين ، حينما دلام بغرور ، ولو أنهم علوا ما كان من مصيرهم لما انخدعوا .

{ ٨٥ }

ذوى حسب إذا نسبوا فسيب (١)
يتاديهم رسول الله لما قذفناهم كاكب في القليب (٢)
أم تجدوا حديثاً كان حقاً وأمر الله يأخذ بالقلوب
فانطقوا ولو نطقوا لقالوا : صدق ، و كنت ذا رأى مصيب
وقال حسان يخز بقومه الانصار ويشير إلى ما كان من تغير
ابليس بقريش يوم بدر :

و صدقوه و أهل الأرض كفار
للصالحين مع الانصار أنصار
لما أتاهم كريم الأصل مختار
نعم النبي و فعيم القسم و الجار
من كان جارهم داراً هي الدار
فأزلوه بدار لا يخاف بها
و قاسموه بها الأموال إذ قدموا
سرنا و ساروا إلى بدر لجنيهم
لو يعلمون يقين العلم ما ساروا (٣)

(١) يشير إلى قتل المشركين الذين كانوا من علية القوم و رجالات قريش ذوى الأنساب العالية كعبية و شيبة أبي ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبي البخرى
ابن هشام و أمية بن خلف و حنظلة بن أبي سفيان و أبي جهل بن هشام ،
و كان عدد القتل نحو السبعين مقتولاً ، و كذلك الأسرى ، و كلهم من وجهاء القوم .

(٢) كاكب جمع كسبة ، والكببة ، جماعة من الناس ، القليب : البقر القديمة ،

لفتح الحاء الموت والهلاك ، يعني أن مشركي مكة توجهوا إلى بدر

{ ٨٤ }

أو كل أروع ماجد ذى مرة أو كل مسترخي النجاد مدجج (١)

و نبها ابن حمراه العجان حويرث يغلى الدماغ به كفلي الزبرج (٢)

وروى ابن هشام البيت التالي أيضاً بعد البيت ، و مسود يعطى الجزيل الخ ،

زين الندى معاود يوم الوعى ضرب الكة بكل أيض سلجم (٣)

و قال في يوم بدر يعزى بال المسلمين ، و يهجو المشركين :

فانخشي بحول الله قوما وإن كثروا وأجمعوا الرحوف

إذا ما البوا جمما علينا كفانا حدم رب رؤوف

سونا يوم بدر بالعواى سراعاً ما تضعضنا الحنوف (٤)

فلم تر عصبة في الناس انكى لمن عادوا إذا لقحت كشوف (٥)

و مسود يعطى الجزيل بـ كفه حال أفقال الديات متوج (٧)

(١) حامت من الحياة بمعنى امتنعت ، و روى حامت بالخاء المعجمة بمعنى جذبت .

(٢) النجاه : السرعة ، مهر : ولد الفرس ، الأعوج : فرس كان لبى هلال بن

عامر بن حصصعة ، لم يكن في العرب أشهر ولا أكثر نسلاً منه .

(٣) فرعونا : أي عن بدر ، اهبرزى ، الجيد الرمى بالسهام ، والحازم من

الرجال ، مهملاً : مثل الايل السابة ، منسج الفرس ما شخص منه من فروع

الكتفين إلى أصل العنق و هو للفرس بعنزة الكامل للانسان .

(٤) جلاه جمع جلة : و هي جانب الوادي ، يعني لما رأى جوانب بدر تسل

بكثائب من الاوس و الحزرج .

(٥) مهيبة الطريق و منهجه بمعنى الواضح منه ، يساون بمعنى يسوقون .

(٦) بمكرهه المكان ، يعني بالمكان المكره الشاق المرج .

(٧) يعني كم فيهم من مسود (السبد) يحملون الديات ، و حل الديات من

شيء السادة ، المتوج ، الذي توج بالسيادة .

{ ٨٦ }

لعمرك ما حامت فوارس مالك و أشباعهم يوم التقينا على بدر (١)

وقال حكيم بن حرام بن خويلد في بدر : ويعدح كنائب قومه الذين حضروا في بدر :

نجي حكيم يوم بدر ركضه كنجاه مهر من بنات الأعوج (٢)

المبرزى يزل فوق المنسج (٣)

لما رأى بدرأ تسل جلامها بكشائب ملاؤس أو ملخرج (٤)

صبر يساقوت الكة حنوفها يمشون مهيبة الطريق المزج (٥)

كم فيهم من ماجد ذى سورة بطل بمكرهه المكان المزج (٦)

و مسود يعطى الجزيل بـ كفه حال أفقال الديات متوج (٧)

(١) حامت من الحياة بمعنى امتنعت ، و روى حامت بالخاء المعجمة بمعنى جذبت .

(٢) النجاه : السرعة ، مهر : ولد الفرس ، الأعوج : فرس كان لبى هلال بن

عامر بن حصصعة ، لم يكن في العرب أشهر ولا أكثر نسلاً منه .

(٣) فرعونا : أي عن بدر ، اهبرزى ، الجيد الرمى بالسهام ، والحازم من

الرجال ، مهملاً : مثل الايل السابة ، منسج الفرس ما شخص منه من فروع

الكتفين إلى أصل العنق و هو للفرس بعنزة الكامل للانسان .

(٤) جلاه جمع جلة : و هي جانب الوادي ، يعني لما رأى جوانب بدر تسل

بكثائب من الاوس و الحزرج .

(٥) مهيبة الطريق و منهجه بمعنى الواضح منه ، يساون بمعنى يسوقون .

(٦) بمكرهه المكان ، يعني بالمكان المكره الشاق المرج .

(٧) يعني كم فيهم من مسود (السبد) يحملون الديات ، و حل الديات من

شيء السادة ، المتوج ، الذي توج بالسيادة .

{ ٨٦ }

و لقد رأيت يبطن بدر منهم قتلى تسح لها العيون وندمع
فابكي فقد ابكيت عبداً راضعاً شبه الكلب إلى الكلبة يتبع
ولقد شق الرحمن منا سيداً وأهان قوماً قاتلوه وصرعوا
ونجا و أفلت منهم من قلبه شعف بظل لخوفه يتتصعد (١)
ولما قتل كعب بن الأشرف بأمر من رسول الله ﷺ وقتل سلام ابن الحقيق،
قال حسان بن ثابت الآيات الآتية في هذه المناسبة :

يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف
مرحاً كأسد في عرين مغرف (٢)
فسقوكم حتفاً بيض ذرف (٣)
مستصغرين لكل أمر بمحف
له در عصابة لا قيهم
يسرون بالبيض الخفاف إليكم
حتى أتوك في محل بلاكم
مستنصرين لنصردين نديهم
«تبع»

(بقية المنشور على ص ١٠٠)

ثم الاقتراحات والتوصيات ، ثم استقالة اللجنة وإجراء انتخابات جديدة .
في المساء : كانت حاضرة بعنوان « الولاء » .
ثم فيلم عن « التوجه لتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان »
٢٨ / ١٢ / ٨٤
قام الاخوة برحمة برسلا بالباصات وكانت ترويجية تخللتها مسابقة ثقافية وسفر ختامي .
وقد غادر الاخوة إلى مناطقهم في اليوم التالي مودعين بمثل ما استقبلوا به من
حفاوة ، معاهدين الله على العمل للسير قدماً .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ / ص ٥٦ .

(٢) العرين المغرف : موضع الأسد الذي فيه الاشجار الملتقة .

(٣) البيض : السيف الملاعة ، ذرف : سرعة القتل .

قتلت بنو جحوج يدر هنة و تخاذلوا سعيًا بكل سيل (١)
جحدوا الكتاب وكذبوا بمحمد والله يظهر دين كل رسول
لعن الإله إبا خزيمة وأبنته والخالدين و صاعد بن عقيل (٢)
و يرى البيت التالي كذلك مع هذه الآيات :

تركوا الحجون و من يقاتل منهم و تخاذلوا لزما فشر قيل (٣)
لما قتل أعيان المشركين في بدر و علم بذلك كعب بن الأشرف اليهودي قال:
أحق هذا ؟ أترون أن ممداً (ممدة) قتل هؤلاء الذين كانوا أشراف العرب
و ملوك الناس ، والله لن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ، لبطن الأرض خير
من ظهرها ، ولكته لما تيقن الخبر خرج حتى قدم مكة وجعل يحرض على رسول
الله ﷺ و ينشد الشعر ، و يسكي أصحاب القليب من قريش من أصيروا يدر في
آيات ، أوها :

طاحت رحي بدر لملاك أمه و مثل بدر تستهل وندمع
فرد عليه حسان قاتلا :

ابكي لكعب ثم عل بعترة منه و عاش مجده لا يسمع (٤)

(١) عنوة : قبرأ و غلة ، وقد تكون بمعنى الطاعة في لغة هذيل .
(٢) أبو خزيمة : عمير بن وهب الجمحي ، وابنه وهب بن عمير أسر يوم بدر ،
و الخالدان : خالد بن هشام بن المغيرة المخزومي ، و خالد بن الأعلم العقيل
حليف بني مخزوم .

(٣) انظر شرح ديوان حسان ، تحقيق دكتور سيد حنفي حسين ، طبع القاهرة .
(٤) عل من العلل ، وهو الشرب بعد الشرب ، يزيد البكاء بعد البكاء ، مجدها :
ذليل ، مقطوع الخير .

و استقلال بلادهم ولكن خابت الحركة الوطنية و الجهد الشعبي لاسباب اهمها الاختلاف بين كبار الزعماء ولا سيما بسبب تدخل الروس الايض انصار نقولاى في شؤونهم وتسلله بينهم تسال الذنب بين الغم ، وفي سنة ١٩١٨ اجمع المندوبون في مؤتمر شعبى عام في بلدة ياسة و انتخباو وكلاه الشعب التركستانى للاشراك في مجلس تقرير مصير الحكومات في روسيا الذى كان يعقد في موسكو ولكن الروس الشبوعي فاجام بالاستسلام على تركستان ، فقد سلط على بلاد فرغانة طاشكىند سنة ١٩١٨ و سلط على بلاد خبوبة سنة ١٩٢٠ .

فينا فيها سبق : إن الروس استولوا على إمارة بخارا ، وجعلوها تحت الاتداب وامتد الاتداب إلى آخر عهد الأمير السيد محمد عالم خان بن الأمير السيد عبد الواحد خان ، حتى تسلط الروس الشبوعي على بلاد بخارا سنة ١٩٢١م حيث قصى على دولة إسلامية كبيرة في آسيا ، التي أسسها الأمير شاه عبد الرحيم خان سنة ١١٦ الهجرية ، و دامت في خدمة الاسلام والمسلمين إلى سنة ١٢٣٩م الهجرية ثم التجأ الأمير السيد محمد عالم خان و أسرته إلى أفغانستان و توفى الأمير فيها سنة ١٩٤٤ .

إن المظالم القاسية التي تسود تركستان ليست كما سمع الناس أو يسمعون ، كما أنها ليست كما رأوا أو يرون على صفحات التاريخ و في حوادث الدنيا الجديدة في سائر أنحاء الأرض و أقطارها منها كبرت خطورة ، وإن الحكم الشبوعي الذي يسود الآن على المسلمين هناك منذ ست و ستين سنة لا يشبه أى حكم ولا يفاس

إلى أن سقط الملك نقولاى عن عرشه ، وذلك بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧

ثم قامت حكومة كورينسكي وحان الوقت للحصول على الاستقلال لكل شعب وكل

بلاد ، فقامت الحركة الوطنية لنحرير تركستان و أعلن التركستانيون خططه حرية التعبير

{ ٩١ } عل حرية الرأى و التفكير ، حكم قضى على حرية الصحافة والنشر ، حكم قضى على

صفحة عن تاريخ تركستان الغربية

الدكتور عبد الله الطرازى

إن تركستان الغربية تضم في ربوعها وأرجائها ثلاث إمارات تاريخية إسلامية لا وهي إمارة فرغانة وإمارة بخارا ، وإمارة خبوبة ، و عدد المسلمين الآن في تركستان الغربية يزيد على خمسين مليوناً ، وبهذا تكون تركستان أكثرية المسلمين للبلاد الإسلامية التي تقع تحت الاستعمار الروسي .

كانت تركستان بamarاتها الثلاث مستقلة بحيث تتمتع كل إمارة منها بجزئيتها واستقلالها و تعيش هادئة مطمئنة إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حيث استولى الروس على إماراتها في الرابع الأخير من ذلك القرن ، وإذا نظرنا إلى تاريخ هذه البلاد الإسلامية فإنه يفيد أن الروس استولوا على إمارة فرغانة سنة ١٨٧٦م و ذلك في عهد الأمير خدييار خان كاستولى الروس على إمارة بخارا سنة ١٨٥٠م ابتداء من عهد الأمير السيد مظفر خان حيث جعلها تحت الاتداب والحماية واستولوا على إمارة خبوبة سنة ١٨٧٣م .

و قد دامت تركستان بamarاتها الثلاث تحت حكم روس تزار و اندابه لبخارا

ثم قات حكومة كورينسكي وحان الوقت للحصول على الاستقلال لكل شعب وكل

{ ٩٠ } بلاد ، فقامت الحركة الوطنية لنحرير تركستان و أعلن التركستانيون خططه حرية التعبير

التغيرات الأخيرة في الجبهة الغربية بين الروس والألمان خلقت الأمال ، وكانت هذه الحركة آخر حركات وطنية لتحرير تركستان وبخارا من براثن الشيوعية والمحصول على استقلالها المأمول .

و من المعروف أن بلاد تركستان وبخارا و سمرقند ، من البلاد الإسلامية التي كان لها تاريخ عظيم في خدمة الإسلام والتي كان لها استقلالها و حريتها ، و شؤونها و مفاسيرها ، ثم تناوبتها أيدي الغاصبين ، فقضت على كل ناحية من نواحي حياتها ، و لا تزال تلك البلاد تئن تحت الاستعمار منذ سنين طويلة ، و يذوق شعبها أنواع التعذيب و التشريد ، فهو يعامل في داخل وطنه كالعبيد ، وأصبح في نظر كثير من المسلمين في الخارج نسيماً مذيناً ، و قد قتل منه عدة ملايين خلال ستين سنة من عهد الاستعمار و رمى منه الآلاف إلى مهالك النفي وألقى منه المئات في السجون الشيوعي بكل قوة و بكل صبر و ثبات ، فقد قاتلت حركة وطنية ضد الاستعمار الشيوعي في نواحي فرغانة و سمرقند ، و دامت من سنة ١٩١٨م إلى سنة ١٩٢٦م ، و لكنها فشلت و لا سيما بجهالة بعض رجال العصابات ، و قتل محمد أمين بك قائد الحركة الوطنية ، و كذلك دامت حركة وطنية في نواحي بخارا تحت قيادة السيد أكرم خان عم السيد محمد عالم خان آخر أمراء بخارا و انتصروا إلى قيادته أمثال أهل بك وبهران بك من أبطال سمرقند ، وذلك ابتداء من سنة ١٩٢١م ، كما دامت حركة وطنية تحت قيادة إبراهيم بك زعيم قبيلة لق إلى سبع سنوات ، و التحق بها يعيشون كالغرباء الفقراء في بلادهم العزيزة .
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ۯ



حرية التكوين و الاجتماع ، حكم قضى على حرية التعليم و الثقافة ، حكم قضى على حرية الأديان ، حكم قضى على المسلمين الأبرياء بالقتل والنفي و التشريد ، حكم قضى عليهم بالحبس و التعذيب و التجريد .

و بالأجمال فإن الحكم هناك قضى على حرية الحياة في جميع حقوقها و شؤونها تلك الحرية الطبيعية التي ينشدها كل إنسان من كبير و صغير بطبيعته التي خلق عليها . إن الحكم الشيوعي هناك حكم قضى على كل هذه الحريات ، فلا حرية لأحد إلا من اعتنق الشيوعية كأنه لا حرية جماعة إلا للحزب الشيوعي الذي لا حزب سواه هناك .

إن الشعب التركستاني قد قاتل الاستعمار الروسي . فيها مضى ، قاتل الاستعمار الشيوعي بكل قوة و بكل صبر و ثبات ، فقد قاتلت حركة وطنية ضد الاستعمار الشيوعي في نواحي فرغانة و سمرقند ، و دامت من سنة ١٩١٨م إلى سنة ١٩٢٦م ، و لكنها فشلت و لا سيما بجهالة بعض رجال العصابات ، و قتل محمد أمين بك قائد الحركة الوطنية ، و كذلك دامت حركة وطنية في نواحي بخارا تحت قيادة السيد أكرم خان عم السيد محمد عالم خان آخر أمراء بخارا و انتصروا إلى قيادته أمثال أهل بك وبهران بك من أبطال سمرقند ، وذلك ابتداء من سنة ١٩٢١م ، كما دامت حركة وطنية تحت قيادة إبراهيم بك زعيم قبيلة لق إلى سبع سنوات ، و التحق بها أنور باشا البطل التركي وكلا عاماً من قبل السيد محمد عالم خان بصفته القائد العام ، و شهادة أنور باشا بتاريخ الخامس من أغسطس سنة ١٩٢٢م في غزوة بلجوان كانت من أكبر أسباب فشل هذه الحركة الوطنية ، ثم قاتلت حركة وطنية أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية و اتخذت التدابير اللازمة للجهاد ضد الاستعمار ، و لكن

رجل أوربا المريض

واضح رشيد الندوى

كان هذا التعبير يستخدم في آخر عهد الخلافة العثمانية ضد السلطان العثماني الذي اشتراك القوى الغربية كلها في الاطاحة بنظامه ، وكانت وراء استخدام هذا التعبير دافع لها صلة بالوضع الراهن في ذلك الوقت ، وأطمئن الدول الأوروبية ، وطبيعة القادة الأتراك الذين تولوا زمام الأمور وصلاحهم حل الأزمات ، وهو حديث الماضي ، وقد عواج ، ونوقش ذلك الموضوع ، ولكن هذا التعبير يصدق كلياً على قيادة الاتحاد السوفيتي ، والنظام القائم في ذلك البلد اليوم الذي حل محل الإمبراطوريات نووية ، فإن القيادة في ذلك البلد منذ عدة سنوات أصبحت قيادة السرير الأبيض ، وفي بعض الأحيان تعمد إلى قيادة النابوت ، ولقيادة المرضى أمثلة في التاريخ ، ولكن قيادة الموت ليس لها نظير في التاريخ .

في حالة الاتحاد السوفيتي تكثر حوادث قيادة الموت ، أو قيادة النعش أو النابوت ، فإذا لقى زعيم من زعماء حتف أنفه على فراشه الذي تصوره الوسائل السوفية للإعلام بكرسي الحكم ، لا يصدر إعلان بموته إلا بعد مدة تسوى خلاها مسائل القيادة البديلة ، وفي هذه الفترة تصدر إعلانات باسمه .

يتناوب عادة لتولي القيادة في الاتحاد السوفيتي رجل غير مستقيم الصحة طاعن في السن ، وفي غالب الأحيان فوق السبعين ومنذ توليه مهام الحكم والسياسة تعتبره الأعراض التي توصف أحياناً باصابته بالبرد ، والحمى ، والنقاوه أو الاجازة ، ويختنق هذا الزعيم الذي يتولى مسئولة تدمير العالم وبنائه ، وتقرير مصيره ، ويتحمل عبء نصف الأرض المعمرة ويتطلع إلى الصعود إلى الفضاء وإقامة حكمه عليه ، يختنق أحياناً

من المناسبات القومية واللقاءات بوصفه مريضاً ، و هو أمر عادي في السياسة السوفيتية ولا تخفيه وكالات الانباء السوفيتية .

كان ذلك مصير برزنيف وأندربيوف ، والمارشال استينوف والآن تشننكو يحكم من السرير الأبيض ، وقد اختلف الصحفيون حول طبيعة مرضه ، فهو مصاب بالزكام وبسبب الزكام لم يحضر العرض العسكري في المناسبة القومية ، ولم يجتمع بكثير من زعماء العالم الذين زاروا الاتحاد السوفيتي ، ثم ظهر بحاجة عندما اشتدت أزمة بسبب الخلافات حول شخصية وزير الدفاع ، الذي كان مصاباً بالزكام ثم اختفى لمرضه ، ثم أعلن أنه مات ويقال إن تشننكو أصيب بنوبة أخرى ولا يزال يظهر ويخفي .

وقد بدأت التكهنات عن خلف له ، لأن صحته لا تسمح له بالتركيز على المسائل القومية ، لكنه يشغل كرسى الحكم وهو على السرير ، لجدد مكانه في متحف الأبطال السوفيت ولعل المرض الذي يصاب به زعيم الاتحاد السوفيتي هو الغلة الدماغية التي تتطور إلى الشلل الذهني أو الفالج .

كان تشننكو قد شوهد متراجحاً متلماً و هو ياق الخطاب الأول بعد توليه الحكم وارتفاع صوته ، لأنه لم يتحمل الضغط وتعثر في الصعود إلى المنصة أو النابوت ، فإذا لقى زعيم من زعماء حتف أنفه على فراشه الذي تصوره الوسائل السوفية للإعلام بكرسي الحكم ، لا يصدر إعلان بموته إلا بعد مدة تسوى خلاها مسائل القيادة البديلة ، وفي هذه الفترة تصدر إعلانات باسمه .

يتناوب عادة لتولي القيادة في الاتحاد السوفيتي رجل غير مستقيم الصحة طاعن في السن ، وفي غالب الأحيان فوق السبعين ومنذ توليه مهام الحكم والسياسة تعتبره

الأعراض التي توصف أحياناً باصابته بالبرد ، والحمى ، والنقاوه أو الاجازة ، ويختنق

هذا الزعيم الذي يتولى مسئولة تدمير العالم وبنائه ، وتقرير مصيره ، ويتحمل عبء

نصف الأرض المعمرة ويتطلع إلى الصعود إلى الفضاء وإقامة حكمه عليه ، يختنق أحياناً

مرض زعيم الاتحاد السوفيتي حقيقي ، وهو مرض يؤدي إلى الموت دائمًا ولكن

(٩٤) (٩٥)

ضدّم كآمة ، والتي لم تقطع رغم تغير الزمن وتقدم المعرفة ، وبهذا التغيير والسلوك الحاقد نشأ فيهم رد فعل وتعزز فيهم الاتهاء إلى الإسلام ، والحرص على حماية مصالحه .

نشأت نخبة ، وآفقة ، وحظيرة في الشباب المسلمين وشعور ووعي بكونهم من أمة تختلف عن تلك الأمم التي يعيشون بينها ، ونشأ فيهم البحث عن حضارتها ومقوماتها العقائدية والخلقية والفكرية .

كان جيل الشباب المسلم الذي كان يتوجه إلى أوروبا للدراسة أو العيش يندمج في البيئة الغربية مغموراً ، ثم يعود حافداً على المجتمع الشرقي ، ولكن التجربة الطويلة للحياة الغربية وانتشار الدعوة الإسلامية غيرت هذا الاتجاه .

إن هذا الشعور الذي يولد في الشباب المسلم طبيعي ، فإذا شاهد كريم مظاهره لوم ، وشجاع مظاهره جين ، وحر مظاهره عبودية وخيانة ، فإنه منها يكن ذرا رحابة صدر ، وسعة أفق ، وروح مخاطرة ، يشعر بكلفاظة واشمئزان وثور في ذاتيه ، وإذا لقى أحد إهانة ، و تعرض لمحاولة توبيخ وتشويه ودجل ، ثارت فيه آنابته وعناده ولا يتحمل ذلك إلا من كان جاهلاً عن ماضيه وهو بيته ، ولكنه إذا أدرك أنه سيد سلب شرفه وكرامته ، انتفضت فيه انتفاضة ، وإذا ثارت الغيرة تغيرت الظروف منها كانت قاسية ، ولذلك كان جل اهتمام الغرب أن لا يعرف الجيل المثقف منها كانت قاسية ، فكان شغله به مزدوجاً ، تسوييف الماضي وتشويه ماضيه المشرق ، ولكن شغله به مزدوجاً ، تسوييف الماضي وتشويه

ووضع نظارة سوداء على عيون المבשרين .

قوى في البيئات غير الإسلامية حيث نشأت في المسلمين صلابة ومناعة ذاتية لمعرفتهم بأدواء الحياة المعاصرة وكنتيجة طبيعية لعامة التي يلاقوها المسلمون وصفة خاصة للمثقفون منهم ، وتجاربهم المريرة منها التمييز ضدّهم في البيئات غير الإسلامية فصادفون اعتداء على مصالحهم وغضطاً لحقوقهم مجرد أسمائهم الإسلامية بجراء الدعاية المكثفة

لا يتجرأ صحفى عالمى ليقول إنه رجل أوربا المريض ولو استمرت هذه القيادات المريضة ل تعرض العالم لنوبات تهز كيانه .

كان حكام الزمن القديم يمنعون من استشارة مريض ، ولكن حكام هذا مصر يعتبرون المريض أصلح للقيادة والحكم لأن السياسة المعاصرة ليس لها قيم ، ولا قواعد ولا مبادئ وإنما هي سياسة عائمة متارجحة ، والمريض أصلح مثل هذه السياسة ، ليكون كلامه وتصريحاته قابلة للتداوיל والتعديل وقد حدث حذوه الاتحاد السوفيتى عدة بلدان فأمسكت أمرها إلى مرضاً تفتاتهم غيبة .

المغربون و العمل الإسلامي



الانطلاق إلى الإسلام ، حقيقة على مستوى الشعوب ، ويشهد هذا الانطلاق كل بلد من البلدان التي يسكنها المسلمون في عدد وفير في صورة نشاطات وحركات تهدف إلى العيش كمسلمين ، ونها مظاهر تشير إلى ازدياد الرغبة في إظهار الشخصية الإسلامية ، بينما يتصدّع الاتجاه إلى الإسلام في غير المسلمين نتيجة جهود الدعاة والملفkin الذين يقومون بشرح الفكرة الإسلامية وعرض رسالة الإسلام والكشف عن زيف الحضارة التي يشق الإنسان فيها اليوم لغسلة المادية الطاغية ، وتتبّدّل السحب التي كان الكتاب الغربيون قد أثاروها لتضليل الرأي العام وتشويه صورة الإسلام والمسلمين .

ولكن هذا الانطلاق إلى الإسلام و الرغبة في إبراز الشخصية الإسلامية قوى في البيئات غير الإسلامية حيث نشأت في المسلمين صلابة ومناعة ذاتية لمعرفتهم بأدواء الحياة المعاصرة وكنتيجة طبيعية لعامة التي يلاقوها المسلمون وصفة خاصة للمثقفون منهم ، وتجاربهم المريرة منها التمييز ضدّهم في البيئات غير الإسلامية فصادفون اعتداء على مصالحهم وغضطاً لحقوقهم مجرد أسمائهم الإسلامية بجراء الدعاية المكثفة

المسلون والنصرانيون لها ، فلاقى النصاريان عاملة العطف والرحمة ، أما المسلمون فلم يكونوا موضع اهتمام لهذه الحركات الاسعافية .

و قد أفادت تقارير واردة من الصومال ، واثيوبيا ، وكينيا ، ودول افريقية في منطقة الجماعة أن مواد الاسعاف تحول إلى النصاريان ويخربها المسلمون .

و من أمثلة التيز أيضاً أن الجماعة التي انتشرت عامة في المناطق التي تخضع للنصرانية والاشراكية واق ملايين من الناس مصرهم المحروم لم تحمل الدول الاوربية على نقد النظم السائدة فيها كما تفعل بالنسبة للسلميين ، فكلما حدثت مأساة في البلاد الاسلام واتهام حركاتهم بالزتم والتزوير والارهاب ، ولا تخشم في المطالبة بحقوق لسيجيين وهم أقلية في البلدان الاسلامية ، و تكافح جهود تطبيق الشريعة الاسلامية ، وفي الوقت نفسه تشجع الحكومات المسيحية التي تقوم بقمع الأقلية في البلاد الاسلامية ، وتهم هؤلاء المطالبين بحقوقهم بالارهابيين ، وتستريح استعمال أقصى

إن العصبية الغربية لثقافتها ودينيها ، ونظمها السياسي عصية تاريخية مستمرة ،

وقد أدركت عقول إسلامية ناشئة بهذه العصبية ، التي تجلت في الأقلام والحركات والمنظمات ، ولا يستطيع أن يحملها أحد إلا متتجاهل ، وما يستغرب أن هذا الشعور الذي يعم ويسود ويثير رد فعل في الشباب المسلم المثقف لم يصل حتى الآن إلى الدوائر العليا في البلاد الاسلامية التي لا تزال تتق بالدول الغربية ، وتعتمد عليها، وتدعم بمحاباتها ومواضعها في المصالح العالمية ، وإنما لا تزال تتمسك بموقف مقصورة على المناطق النصرانية وهي خاضعة لنفوذ المبشرين ، فإذا قدمت معاونة قد منها تحت مظلة تصيرية ، وهو أمر لا يخفى على أحد ، وظهر هذا التيز باشتع مظاهرها في فلسطين ، ولبنان ، وبلاد التي تعرضت للآسي أو الكوارث .

وظهر باشتع ظهر في معالجة الجماعة أخيراً في البلاد الافريقية حيث تعرض

في دار الغربية وضعيف في عقر داره .

الغربيه جربوا الاذدواجية في موقف علماء الغرب و ساسته فأدركوا أن الغرب لقن المسلمين العلمانية والثورة على الدين لكنه تمسك هو نفسه بيده ، و ثقافته ، وعدائه لغير دينه ، و لغير ثقافته ، وأن حقده للقوميات والأديان والعقائد والثقافات واللغات الأخرى لم يتخفف منها تقدم في الحضارة ، ومهما تعززت علاقته مع العناصر غير البيضاء ، ولم يتخفف حرص الغرب على نشر النصرانية ، ولا تردد ~~كبير~~ الصحف الغربية المتقدمة في نشر تقارير صحافية مطولة عن نشاطات جماعات التنصير في العالم وما تلقى من معونات من الدول الغربية الراقية و هجومها على الدعاة إلى الاسلام واتهام حركاتهم بالزتم والتزوير والارهاب ، ولا تخشم في المطالبة بحقوق لسيجيين وهم أقلية في البلدان الاسلامية ، و تكافح جهود تطبيق الشريعة الاسلامية ، وفي الوقت نفسه تشجع الحكومات المسيحية التي تقوم بقمع الأقلية في البلاد الاسلامية ، وتهم هؤلاء المطالبين بحقوقهم بالارهابيين ، وتستريح استعمال أقصى

قوة ضدهم .

لقد أبرزت الصحافة الغربية احتجاج النصاريان في مصر ، والسودان ، وبلدان إسلامية أخرى على المطالبة بتطبيق الشريعة التي تطالب بها الأغلبية الاسلامية ، وتصر على فرض القانون المدنى الغربى الذى لا ينلام مع روح الحياة الاسلامية ، ولا يشاهد هذا التيز فى المجال السياسى والإعلامى خسب ، بل إن له جذوراً لا تتجو منها مجالات الاسعاف ، فقد أصبحت نشاطات الصليب الاحمر الدولى على المناطق النصرانية و هي خاضعة لنفوذ المبشرين ، فإذا قدمت معاونة قد منها تحت مظلة تصيرية ، وهو أمر لا يخفى على أحد ، وظهر هذا التيز باشتع مظاهرها في فلسطين ، ولبنان ، وبلاد التي تعرضت للآسي أو الكوارث .

(٩٨)

المؤتمر السنوي الثاني

لاتحاد الطلبة المسلمين في الهند في الفترة ما بين ٢٥ - ٢٨ ديسمبر

عقد اتحاد الطلبة المسلمين في الهند مؤتمره السنوي الثاني في مدينة « عليكروه » تحت شعار : « قل هذه سبلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني و سبحان الله و ما أنا من المشركين » .

توجهت جموع الشباب المسلمين من مدن القارة الهندية مثل حيدر آباد - بوجال - كشمير - أمور - و مناطق أخرى يوم ٢٤ ديسمبر . و كما شارك ضيوف الاتحاد من الكويت وباكستان ومثلاً للمجاهدين الأفغان . افتتح المؤتمر يوم ٢٥ / ديسمبر بقاعة الهندسة بجامعة عليكروه الإسلامية وقد شارك بافتتاح المؤتمر الروابط و الحركات الطلابية الإسلامية في الهند و الآخوة الضيوف .

افتتح المعرض بعد الافتتاح « بجامعة أردو » و قد احتوى المعرض على صور للأمسية الأفغانية والقضية الفلسطينية كجزء من التحديات التي تواجه الأمة المسلمة في العصر الحاضر .

يعد بعض الملصقات والمطبوعات التي ساهم الآخوة في إعدادها قبل المؤتمر . في المساء كانت محاضرة عن « قضية الجهاد في أفغانستان » ثم فيلم فيديو عن « الجهاد الأفغاني » .

٨٤ / ١٢ / ٢٦

الدورة الرياضية حيث قسمت المناطق إلى خمسين فرقاً و جرت منافسة على ملاعب الجامعة لكرة القدم ثم وزعت الجوائز على الفريقين الأول و الثاني . في المساء : كانت محاضرة عن « القضية الفلسطينية و آخر تطوراتها » . ثم فيلم عن « عمر المختار » .

٨٤ / ١٢ / ٢٧

عقدت جلسة الأعضاء العاملين و تم بها مناقشة التقارير الأدبية والمالية للاتحاد
(البقية على ص : ٨٩)



المكتبة العامة لدولة العلماء
(مكتبة شبابي التهامي)

ندوة العُلماء - لكنهؤ (المند)

نام مصنف	نام كتاب	نمبر
عبدالله بن الحسين المزري	المسجد الذهبي	٢٧٤٠
واضح زين الدين المزري	الحمد لله رب العالمين	١٠٥١
دستخط	رمضان شهر ١٣٨٦	٢٩١٣
	رجب شهر ١٣٨٥	فن